كبرياء وحنين

دار فريست للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

الكتاب : كبرياء وحنين

تأليف : محمد عبد الحميد علي سليمان

مصمم الغلاف : ؟؟؟

إخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ؟؟؟ / ٢٠١٩

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينة في نطاق اســـتعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

التليفون : ٠١٠٠٨٠٧٥٦٥١

Email: First.Publishing.house@gmail.com

كبرياء وحنين

محمد عبد الحميد علي سليمان

إهداء

إلى كل من يسعى جاهدًا فى بث الروح فى اللغة العربية الفصحى

فلا تقدم فى كل المجالات إلا إذا اتقنا لغتنا الجميلة

إلى كل من يسعى لتقديم الأقلام الواعدة لنشر الثقافة وتنوع الفكر، فلا مدنية أو تقدم إلا إذا كانت الثقافة والقراءة من سمات أهلها

هذا الكتاب إهداء لكل من يحب القراءة

وأخص بالذكر من شجعنى على نقل ما يجول فى خاطرى وترجمته إلى هذا العمل المتواضع

«محمد عبدالحميد على»

مُقدِّمةٌ

جميعُنا من المهد إلى اللحد بيحث عن السعادة، فالسعادة حُبها فطرى وغريزى والمرء مجبول على عِشقها والتلفع بها والحوم حولها والتقَّرب إليها إن كانت بعيدة واللهث خلَفها أن كانت مستحيلة قد تكن السعاده على طرف لسان أحدهم بكلمة تترقبها تُغير مجرى حياتك، أو بخطوه تخطوها تفتح آمامك أفاق ترمُق منها طريقها المنشود

أو قد تأتى لك بدعوه عن ظهر الغيب فى جُنح الليل فلا مستحيل فيما هو غاية وإلا صار اليأس والقنوط هما سيدا الموقف ندور فى فلكها، ويغبط بعضُنا بعضًا عليها فلا نحن شبعنا منها، ولا نحن كففنا عن طلب المزيد منها

لتكن حياة الجميع حُبًا وبحثاَ عن السعادة

«محمد عبدالحميد على»

كبرياء وحنين

-١-

ظل طيلة سنواته الماضيه يستقى سعادتهُ من نجاحاته فى عمله وتطور مشروعه وزيادة رُقعة أرضه الزراعية التى خلَّفها له والده من كد جهده وعمله المضنى الذى كان يأخذ كُل وقته واهتمامه ولكِن كان ينقصهُ شيئاَ ما يبحث عنهُ لا يدرى كنهه مدفوعًا من داخله بقوه تُرغمهُ للبحث عنه فقد كان زواجه تقليدى بزميلة الدراسة لم يَقنع بحُبها، ولكنه تعايش على أنه يُحِبها وقتئذ لم يلهيه الحُب بقدر شغفه بتحقيق ذاته كان ثريًّا ولكنه كان يبحث عن المزيد من الشُهرة والمال تعليمه الجامعى كان يؤهله لإدارة الأعمال أو العمل فى أحد البنوك وكان هذا شبه مستحيل فى بداية تخرجه، وفى ظل الرشوة والمحسوبية آنذاك، وترسيخ مبادىء توريث الوظائف ولو بالطرق الودية وهذا ما كان يحدث هو فى طور خطير من أطوار حياته وزوجته ما زالت محتفظة برونقها وبريقها وإطلالتها الشابة فهى شغوفة بالزينة والتأنق

وقد كانت سليلة بيت قديم فى العز والموضة ومجالسة الطبقات الأروستقراطية بيد أن ثمة جفاء ونفور متبادل بينهما فى الفترة الأخيرة كان يخشى جانب والدها لما لهُ عليه من فضْل ومساعى قديمة قد قدمها له أثناء بداياته العملية، كما كان يعتقد أنها كذالك

عـلاوه عـلى قـروض كان يأخذهـا مـن والدهـا طويلـة الآجـل بـلا فوائـد إكرامًـا لابنتـه ولكـن -جـلال- كان يدفـع المقابـل خضوعـاَ وانصياعًـا كان -جـلال- يقـدم مصالحـه التـى تسـتجلب لـه المـال على أى شـىء آخـر.

جـف قلبـه مـن الشـعور بالحـب لــ -نـوال- كما تمتـص الإسـفنجة المـاء الـذى بالصحـن التـى وُضعـت فيـه هـامْ عـلى وجهـهِ كطِفـلُ تـاه فى «مولد»عـن ناظـري والديـه ينظـر فى الوجـوه ! علـه يهتدى لمُـراده فى الطريـق رأى شـيخًا مُعممًـا ترجـاه أن يحتسـى معه الشـاى فى مـكان ما! لبـى الشـيخ دعوتـه قال:أخبرنـى يا مولانـا عن قيمـة المال؟ قال الشـيح المـال مـن المحـاور التـى تـدور حولهـا الحيـاه فضلـهُ الله تعـالى وقدمه فى شـتى مناحـى الحيـاة وأمرنـا بالحـرص عليه كـما أمرنـا بـضرورة توريثه للأبنـاء وإذا أراد أحـد أن يَهـب مالـهُ كلـه إذا كـره ذَويـه حـرَّم الله عليـه ذلـك فـلا هِبـه لاكثـر مـن ثُلُـث المـال فـإن اعطيـت مسـكين لا يقـوى عـلى العمـل تكـن قـد وفـرت عليـه عنـاء وجهـد سـاعات يُكابـد فيهـا الألم والشـقاء وإذا وفُـرت عمـل لمسـكين قـادر عـلى العمـل سـتعفَه عـن السـؤال لـولا المـال مـا التقيت بـك فأنا قـادم مـن أقـاصى الصعيد لأسـأل عـن سـبب تخلفى عـن الترقيـة أسـوة بزمـلاء دُفعتـى فى التعيين لأنهـا سـتضيف إلى راتبـى تسـعون جنيهًـا.

قال له -جلال-:أهو أهم شىء؟

قـال الشـيخ :لا! بـل هـو أهـم وسـيلة لتحقيق غايـة السـعادة ولكنه يجـب ألا يكـن هـو الغاية.

وذات يـوم عـاد- جـلال - إلى قريتـهُ مسـتقلاً القطـار تاركًا سـيارته لـدى ورشـة «الميكانيكـى» حيـث كانـت تحتـاج لصيانة.

نـزل مـن القطـار بلاعنـاء كان القطـار غـير مُزدحـم بالـركاب ثـم اسـتقل «الميكروبـاص» وقعـت عينـاه عليهـا سـتصعد «الميكروبـاص» الـذى مـازال متوقـف ليجمـع عـدد مقاعـدهُ الشـاغره بالـركّاب كانت سـتجلس بجـواره، بيـد انهـا وجـدت بالمقعـد الخلفـى فتـاه فاسـتأذنت رجـل خمسـينى يجلـس بجوارهـا أن تسـتبدل معـه المقعـد نهـض ولبـى رغبتهـا نزلـت مـن «الميكروبـاص» قبـل -جـلال- وعِـرف - جـلال- بيتهـا وعـرف ابنة مـن هى حيـث أن أهل القُـرى يعرِفون جميعًـا بعضهم البعـض ولكنـه لم يعرفهـا فى بـادىء الأمـر بحكـم تغيبـه المسـتمر بعمله فى القاهـرة اسـتعمرت قلبـهُ وتفكـيره وهـو لم يتحـدث إليهـا البتـه فقط كانـت نظـرات سريعـه متبادلة تلاقـت فى بُرهة مـن الزمن بينهـا وبينه لم يعلـم أنـهُ بيـت القصيْـد بالنِسـبة لهـا منذ سـنوات كانـت تنعتـهُ بالوجيه القـروى كانـت تـراهُ يخطُر مـن أمـام بيتِهم مـارًا بكامِـل شـياكته وتأنقهُ وشـذى عِطـرهُ النفيـس يثـير أنفًهـا ويزلـزل كيانهـا كان كُلـما مـرّ ترعاه بنظرهـا مـن خلـف مـصرع شـباك غُرفتهـا المُشرِف عـلى الشـارع كـمْ شـغل خيالهـا وأرّق سـهرها وهـى لا تلـوى فى ذلـك عـلى شـىء وهـى تعلـم أنـه رجل متـزوج ومن «قاهريـة»! كانـت تعلم أن علاقتهـا الخفية بـه مـن طرفهـا علاقـة عقيمـة لم يكُـن حُـب بـل شـغف وتطلـع إلى مـا ترنـو إليـه نفسُـها مـن أحـلام فـلا أمْـل لهـا أن تتحـول إلى حقيقـة فلـم تكـن تعلـم -أحلام-أن للقـدر دورقادر عـلى تحويل المُسـتحيل إلى دائرة الممكـن كان -جـلال- لهـا بمثابـة النموذج المثـالى لزوج المسـتقبل الذى تتمنا ه

كانـت أحـلام تشـعُر بالوحـدة بالرغـم مـن حياتهـا فى كنـف عائلـة مكتظـه بمـن حولهـا مـن أخـوه ولكنها كانـت لا تعمـل عملهـم وليس لهـا نفـس ميولهـم ولا اتجاههم كانـت تشـعر أن تلك الحيـاه أصبحت لا

تـروق لهـا وتنفـر منها ليـس تكبرًا ولا اسـتعلاءً إنـما حُبًا فى حيـاة أخرى أكثـر تنظيـمًا وترتيبًـا وأكثـر نظافـة فقـد ملـت منظـر خيـوط العنكبوت التـى تُنسـج سريعًـا والأتربـة التـى لا تفـارق الأرضيـة بالرغـم مـن النظافـة اليوميـة وغبار الشـارع الـذى يهجِم على البيت مُشـكلاً سـحابة يمتلـئ بهـا سـماء البيـت فى الصباح حيـث يُخـرج الفلاحون المواشـى إلى الحقـول وفى وقـت دخـول الليـل حيـث يُخيـم الظـلام وتعـود المواشـى عـبر الشـارع مثـيرة هالـة مـن الأتربـة والغُبار.

كانـت تُفكـر أن شـاء لهـا القـدر وتزوجت رجـل غير ميسـور الحال أن يسـمح بهـا أن تتُعيـد هـى تشـطيب البيـت مـن جديـد عـلى نفقتهـا الخاصـه لتصـل إلى حالـة الرضـا التـام الـذى تبغيـه ويصـوره خيالها

فكانـت كلـما زارت أحـد صديقاتهـا اللاتـى يسـكن المدينـه فـترى الفـرق بـين مـا تقطن فيـه وبـين بيـت صديقتهـا مثل الفـرق بـين الثرى والثُريا

فكانـت تدعـوا الله إذا كتـب عليهـا أن تتـزوج فقـير أن يكـن متفهـم ويتركهـا تفعـل مـا يحلـوا مـن مالهـا الخـاص مـن تركيـب أرضيـات سـيراميك أو بـلاط فاخـر ويتركهـا تدهـن الحوائـط بألوان متناسـقة مع لـون السـتائر التـى تفُضلهـا وتلتصـق فى مخيلتهـا أن تتعلـق عـلى جـدار غُرفـة الطعـام صـورة «الموناليـزا» لدافنشـى وفى الصالـون تضـع عـلى الجـدار المقابـل للمدخل لوحـة لوحـة «الصرخه» لإدفاردمونـش لم يكن لهـا فى الفـن ولكـن حفظـت صـوره أكـبر فنانـى العـالم المشـهورين مـن صديقـه لهـا كانـت مُغرمـه بالفـن التشـكيلى

***

-٢-

كان قبل أن يجمعهم حيز واحد وتُباعد بينهم مسافه تقل عن المتر المربع كانت تتمنى أن تقترب منهُ وتدرس ملامحه عن قُرب

كان جُل اهتمام-أحلام - أن تتزوج بمن هو أهلُ لها فلم تقِس سعادتها فى حياتها بميزان الحُب أعتادت أن تحسب كل شىء بميزان ا لعقل

ميزان الارقام الجمع والطرح ! كانت تنظر إلى كل زيجات زميلاتها وأقاربها وتفاضل فى داخلها بينهن لتفرز أكثرهن سعاده أيضا بنفس الميزان كانت -أحلام- صغيرة أخوانها وهى الوحيدة كانت الفتاة من بين ثلاث ذكور.كان أقرب أخوانها إليها- فهمى - وهو الأوسط فى أخوانها يسبقهُ- فتحى- ويليهِ -فريد- كان كلما تقدم لها أحد ترفُض وتتعلل بأتفه الأسباب للرفض ولم يضغط عليها احد حتى لا ينال احدهم غضب أُمها التى تولت تربيتها فقد كانت يتيمة الأم وكانت تُحبها حُبًا جمًا فهى الابنة الوحيدة وهى الأصغر أيضا فكانت منها موضِع الإبنه بحق لم تشعرها قط بغير ذلك.

عندما كانت طفله وماتت عنها أمها أخذها خالها لعيش بين أبنائه ولكن زوجته وضْع الأُسره المادى ميسور لدرجة أن تُلتصق بهم صِفة

الثـراء، فقـد تـرك لُهـم والدهُـم أرض ذات مسـاحات شاسِـعة متفرِقـه فى ذِراعـات القريـه، ولُهـم عائلـه لا يُسـتهان بهـا بـين عائـلات القريـة

كان مهـام كُلٍ منهـم الموكلـة إليـه كفيلـه أن تشـغل كل واحـد فيهـم طـوال اليـوم فقـد كان- فتحـى - وهـو أكبرهُـم يتـولى الأمـور الماليـة وكِـراء الفلاحـين التـى تحتـاج إليهـم الأرض فى العمـل الزراعـى وكان يقـوم بالتـصرُف فى بيـع وشراء المواشـى عـلاوة عـلى مُتطلبـات البيـت مـن سِـلع تموينـه وأما فهمـى وفَريـد فقد كانـا يقوَمـان برعايـة الأرض ومراقبـه فلاحـين الأُجرة بـالأرض والاهتمام بالمواشـى ومـا أكثرُها فقد كانـوا يتخـذون المواشـى مـشروع ومصـدر دخل ثابـت متنامـى ومُربح فـما دامـوا يمتلِكـون الأرض يسـهُل عليهِـم قنـاء مـا يرغبـون مـن عدد مـن المواشـى وفى نهايـه الموسـم يحـصُر فتحى كل شـىء تـم بيعـهُ ويقوم بتوزيعـهُ عـلى إخوانـه بالتسـاوى لذلك اسـتمروا سـويًا دون تقسـيم ما دامـوا فى نهايـة موسـم الحصـاد يحصُـل كل واحـد مِنهـم عـلى نصيبـه بالضبـط بعـد حِسـاب دقيـق فى كُل شـىء فيـما بينهم

طلبـت الأم أن يُخرجـوا -لأحـلام- نصيبهـا مثلهـم - قـال فتحـى -:إنـه يدَّخـر لهـا نصيبهـا فى دفـتر توفـير باسـمه وسـلَّم أمه هـذا الدفتر كـى تطمئِـن وتثِـق فى كلامه ردتـهُ إليـه واطمـأن قلبها وكانـت أحلام- عـلى علـم مُسـبق بذالـك مـن- فتحـى -.فلـم تضـع المـال فى حُسـبانها قـد يكـن ذلـك بسـبب عـدم معرِفتهـا قيمة المـال فى تلـك الفـتره المُعلق فيهـا جـل اهتمامهـا بالتفكـير فى رجُلهـا المنتظـر! فـكل طلباتهـا مُجابه ولم تعتـاد عـلى أن تبحـث عـن المـال، بل المـال متوفـر مـع الأم عـلى الدوام ولا يُمنـع عنهـا شـىء كان يقطنـون ثلاثة بيوت يحوطُهم سـور متوسـط الأرتفـاع لـكل واحـد منهم يسـكن «بيـت» بزوجتـه وأولاده

أمَّـا الأم- وأحـلام- فكانـوا يشـاركون فهمـى فى بيته فعِنـد الاقتراع عـلى توزيـع البيـوت جـاء البيـت ذات المِسـاحة الكبـيرة مـن نصيـب -فهمـى -عـلاوة عـلى أن فهمـى هـادىء الطبع.وزوجتـه عـلى درجـه عاليـه مـن الطيبـه والاحـترام الجـم لـلام ولأحـلام شـأنها شـأن زوجة -فتحـى -وزوجـة -فريـد-

تقـدم ل -أحـلام -فى شـهر واحـد أربعـة عِرسـان وهـى ترفُـض واحـد يـلى الآخـر حتـى أن منهـم واحـد كانـت تشـعر نحـوه ببعـض الاسـتظراف والقبـول ولكنهـا أصرت عـلى الانتظـار حتـى تجـد مـن يُناسـبها كانـت مُغـتره بـالارض التـى ورِثتهـا عـن والدهـا كانـت ترى أن كل مـن يتقـدم لهـا ينظُـرإلى أرضهـا لا إلى شـخصِها كان والدهُـم الراحِـل قـد كتب لـكُل منهـم نصيبه قبـل أن يرحـل حتى لا يجـور أحد عـلى نصيـب أحد.فقـد رأى أمثلـه كثـيره مـن حرمـان البعـض لإخوانه واسـتيلاء القـوى عـلى إرث الضعيف! سـواء بالجـبر، أو بالحيـل والمكر السـيىء، أو التحايـل ويصـل الأمـر إالى التزويـر وبالرغـم مـن أنه ربى أبنـاءهُ تربيـة حسـنة حرمهم فيها مـن تعلم الكـذب ومنحهـم الكثيرمن تجاربـه إلا أنـه خـاف عليهُم مـن تقلبات الأيـام التى قد تغير الحسـن إلى سـيئ والجميـل إلى قبيـح والخـير إلى شر!

مـن يـوم إلى آخـر وهـى تهيـم فى عـالم الخيـال تقـف عـلى تلهـف بالفسـتان الأبيـض تنتظـر فارسـها الـذى سـيأخذها على جواد السـعادة والفـرح والهنـاء، هـذا الغريـب الغائـب الذى طـال انتظـاره !.ترجو أن تسـكُن القصـور تحلُـم أن ينتشـلها مـن ربعِهـا وغرفتها التـى ضاقت بها بالرغـم مـن اتسـاعها إلى حيـث تملـك الفتـاة عقِـب زواجهـا فـكل مـا حولهـا يـؤول لهـا مـن حيـث تعـدد الغـرف تلـك غُرفـة نـوم، وأخـرى

جلـوس، والثالثـة سُـفرة، وغرفـة للأطفـال تحلُـم بمطبخهـا الخـاص الـذى سـينطلق منـهُ سِـحر مـا سَـتصنعهُ يداهـا منـه مـا تتقنـهُ ومنـه مـا تتعلمـهُ عـلى مـدار سـنين مـن كُتـب الطبْـخ وبرامـج التليفزيـون عـلى طـول الوقـت حالِمـه لم تفتـأ أن تعيـش الواقـع داخلهـا سـيلُ عـارمْ مـن السـعاده المؤجلـه التـى سـتخرج فى وقتهـا.

فى أحـد الليـالى وبعد أن انفضـوا من تناول العشـاء ناداهـا -فهمى- وسـألها عـن سـبب رفضهـا لأسـماعيل سـيف، وهـو الوحيـد الـذى لم ترفضيـه مـن اول وهلـه وطلبتـى وقـت للتنفكـير قال لهـا مـاذا يعيبه؟!

وأحوالـه الماديـة متيـسرة، ويحمـل شـهاده جامعيـة ولـه مشروعـه الخـاص بـه بعيدًاعـن والـده ولكنهـا لم تجـد جوابًـا إلا الصمـت الـذى جعـل -فهمـى - يغـير الموضـوع ليُخلصهـا مـن الضغط النفسـى الذى حاصرهـا بـه إثـر طرحـه هـذا السـؤال عليهـا

كان فتحـى وهـو الأخ الأكـبر لا يُعجبـه تـسرع أحـلام فى الرفـض، كان يُريـد أن يُجبرهـا عـلى الـزواج بأى شـخص مُناسـب لهُـم، كان يريد أن يُحجِـب رأيهـا فـلا يؤخـذ به قـد كان حسـن النيـه فكان يرى أن سـتر الفتـاه فى الـزواج هو الأفضل، والسـعاده والحُب سـيأتيان بعـد الزواج، ولكنهـا كانـت مـصرة عـلى انتظـار مـن تحلُـم بـه، أما فريـد وهـو الذى يكبرهـا فى السِـن مباشرة كان يـرى أنهـا يجـب أن تقتنع بمن سـتتزوجه كان يقـول لـن يعيش أحـد معها، هـى التى سـتتحمل نتيجـة اختيارها، وعندمـا تسـكُن فى جـوف الليـل كانـت تنظـر إلى -إسـماعيل- عـلى أنـه كان مناسـب، وأن فهمـى كان عـلى صـواب ونِدمـت أكثـر عندمـا علمـت أن -أسـماعيل سـيتزوج من ابنـة أخ العُمـدة وعائلتهـا أكثر منها ثـراء ولديهـم أرض شاسـعة إذا مـا قورنـت بأرضِهـم، ولكـن مـا يميـز

-أحـلام- أنهـا حصُلـت عـلى نصيبهـا إذا مـا قورنـت بفتيـات القُـرى التـى غالبًـا مـا يُهضـم حقهـا فى الميراث.

مـرت فترة تعـدت العامان لم يطـرق باب-أحلام -أى خاطب شـبح العنوسـه يـؤرق أم فتحى التـى تعتبرها إبنتها وأحـلام لم تُناديها إلا بأمى، فقـد وعـت على نفسـها وهـى فى حُضنهـا وحنِوهـا وجـم رعايتها ودب فى داخلهـا الخـوف عليهـا نحوها ترجتهـا أن تقبـل بالخاطب القـادم إذا ما كان مناسـب

فـلا مجـال للاختيـار من فى سِـنها أبناءهـن التحقن بالمـدارس! وذات مسـاء جاءهـا أخيهـا الأكبر- فتحى - قـال لها أنه يوجـد خاطب ويحتاج لردهـا حتـى يبلغـه كان يتوقـع رفضهـا ! ولم يكـن ينـوى أن يقنعهـا أو يحببهـا إليـه، وذلـك لأنـه أنـهُ متـزوج ويسـكُن بالقاهـره، ولكنـه عـلى خصـام مـع زوجتـه وينوى عـلى الانفصال عنهـا علمت -أحـلام -أنه» جـلال يونـس» عـين أعيـان القريـه وأرضهـم تمتـد حدودهـا إلى حدود القـرى المجـاوره شُـعرت -أحـلام- أن صبرهـا قـد آتى بأوكلـه تخيلت الحيـاه فى القـصر أو الفيـلا، ولكنهـا فاقـت عـلى تذكر أنـه متزوج

تنامـى داخلهـا تحـدى أن تدخـل فى تناحـر مـن أجلـه مـع زوجتـه الأولى وسـتفوز هـى بـه، قـال لهـا أخيهـا أنـه سـينفصل عـن زوجتـه، ولكنـه لم ينفصـل بعـد قـرار تنفيـذه قابـل للمراوحـة

ولكنهـا قبلـت التحـدى، منحـت فتحـى الموافقـة ينقلهـا إلى جـلال تجهـم وجـه -فتحـى- كان يتوقـع العكـس أبلغـه فتحـى ليأتـى فى الغد لـيرى -أحلام- ويُنهيـا الاتفاق على متطلبـات الزواج والموعـد والقرار النهائـى أن كان سـيأخذها معـه إلى القاهـره أم سـتبقى فى القرية

يـروح ويجيـىء عليهـا حتى يُعـد لها بيت قريـب من بيتـه القديم ومن مـكان عملـه فى الصبـاح جـاء -جـلال -عـلى غيره موعـده المتفـق عليه وكان بعـد العِشـاء جـاء معتذرا عـن المجـىء بالليل متعلـلا بالاضطرار للعـوده إلى القاهـره لمشـاكل طارئه فى المصنع تسـتلزم تواجده شـخصيا، وأعطـى فتحـى موعـد جديد بعد اسـبوع مـن تاريخه.

لعبـت الأوهـام والهواجـس بـ - أحـلام -اعتقـدت أن -جـلال- سـيحنث ولـن يعـود

وهـذا مـا ما جعلهـا ترتجف مـن عـدم مجيئه وتهلـع إن أغلـب الناس قـد علِمـت بمـشروع تلـك الخطوبـة خافـت عـلى كبريائهـا أن ينجـرح

أرسـلت -مديحـه- زوجـة فتحـى إلى- أحـلام - دخلـت مـن بـاب البيـت الخلفـى هيـأت لهـا السـبيل ورأت جـلال مـن حيـث لا يراهـا هـو لم تُخبرهـم أنهـا لازمتـه فى (الميكروبـاص) بـل كانـت سـتلتصق بـه إذا مـا اقتعـدت المقعـد الشـاغر بجـواره عجبهـا هيئتـة وملامحـه، وإن لاحظـت تقدمـه فى العمـر نوعـا مـا فقـدرت عمـره مـا بـين الثلاثـين والخمسـه وثلاثـون عامـاَ، وقالـت فى نفسـها لقـد تأخـرت كثـيرًا أيهـا الوجيـه القـروى

مـر الأسـبوع وهـى فى قلـق وترقُـب! حتـى جـاء فتحـى وأخبرهـا أن جـلال قـادم حتـى تجهـز نفسـها للرؤيـة الشرعيـة جلـس الأخـوة الثلاثـة فى «المنـدرة» عنـد فهمـى حيـث تعيـش -أحـلام- مرحبـين بـ -جـلال- ودخلـت -أحـلام- حاملـة فى يديهـا صينيـة الشـاى مُطرِقـه رأسـها لأسـفل تمشـى فى حيـاء حتـى وصلـت مقابلـه حيـث يجلـس نظـر إليهـا ونظـرت إليـه فى اسـتحياء طلـب منهـا فتحـى أن تقعـد بالقـرب مـن جـلال يفصـل بينهـم مسـافة تتعـدى المـتر ولكـن

على نفس الكنبه أعجبته كما أعجبها هى من قبل سألها عن حالها يتفتح باب للحوار ولكنها لم تنبس ببنت شفه سألها عن صحه والدتها، قالت باستحياء «بخير الحمد لله».دخل جلال فى الموضوع بمهارة وأسلوب رجل الأعمال، وأنهوا كل التفاصيل الماليه والترتيبات وأخبرهم أنها ستستقر فى البلد وسيجيىء ويروح عليها بحكم عمله ومصنعه فهو لا يستطيع البقاء فى البلد، وفيما بعد سيجهز لها بيت فى القاهرة قوبل كلامه بالقبول، وسأله فريد عن زوجته الأولى فقال إنها فى بيتها صمت هنيهة وقال: أقصد بيتى الثانى بيننا مشاكل قد تصل إلى الطلاق ولكنى أريد أن أخرج بأقل الخسائر قال فتحى لا أفهم ! قال جلال لا أقصد مؤخر الصداق أو أى شىء يمس حقها، إنما لا أريد أن أخسر بأن أكن أنا الكاره فنفوذهم قوى وقد يضرُ بمصالحى لذلك انتظر حتى يطلبوا هم الطلاق فلا يلومنى أحد، وفجأة قالت -أحلام-أنا لن أبقى هُنا وأنت فى مصر «أغلب القُرى البعيدة والمُحافظات تُطلق على القاهرة اسم مصر».إذا أردت أن تتم الزواج تأخذ لى شقة ولو بالإيجار حتى تنتهى من تجهز بيت قد يظل سنين حتى تنتهى من تجهيزه ! كان حُلمها أن تخرج من حياه الريف والتكدس الذى نشأت بينه والعشوائية المترسبة فى البيت ! كان لها عالمها الآخر الذى رسمه خيالها كانت تكره منظر الشارع وقت الغروب حين تُشرف بنظرها وترى التراب المتعالى فى الفضاء من أثر تدافع الأغنام والمواشيى يبدو كسحابة سوداء فى غبش الليل تحوط المكان وتجثم على الأرجاء تشعر بضيق الصدر وتتخلص من هذا المشهد المتكرر أن تدخل وترك الشُرفه تعجب فتحى ونظر فريد إلى فهمى وتفصد جلال عرقًا

قال: لامانع لدىً أولاَ يتم الزواج وبعد شهرين من الزواج سننتقل إلى شقه ولكن الشقه تحتاج إلى البحث، وتجهيزها سيأخذ وقت أيّد فتحى كلامه وأومأ فهمى وفريد بالموافقه والرضا وانطلقت الزغاريد ودارت صوانى والشربات وامتلأ البيت بالمهنئين

الرجل الذى سيأخُذها إلى عالمها الذى عاشته سنوات داخلها نمط الحياة الذى خططت تفاصيله ونسجت له فى خيالها كروكى لا يعلم دهاليزه وثغراتهُ سواها هذا الوجيه القروى الذى كان حُلم بعيد المنال لأنها تعلم أنه متزوج ولكن ما حز فى نفسها وجعلها تؤنب نفسها انها لم تؤنب ذاتها لأنها ستؤذى امرأه أخرى وتجرح مشاعرها عندكما تُشاركها فى زوجها، ولكنها تناست وغالبت التفكير ولم تدع خزات الضمير تُعكر صفو سعادنها المُنتظره من زمن، وقد علمت أن بينهما خلاف من قبل أن يتقدم لها وقد ينفصلا فتلوذ هى به ويبقى لها بمفردها ترك لها رقم هاتفه الجوال أخبرها أن احتاجت لشىء تخبره بمجرد أن انفردت بنفسها وضعت رقم الهاتف فى خانة البحث فى الفسبوك وفى ماسنجر لم تظهر لها نتيجة خمن أنه قد يكن له عِدة أرقام أخرى ربما فتح بهم حسابات التواصل الاجتماعى كانت تتوقع أن يطلب منها الهاتف يتفحصه، ولكنه لم يفعل كانت مستعدة أن تعطيه أيّاه ولكنه لم يطلُبه.

وضعت اسمه فى خانة البحث فى فيسبوك ظهرت أسماء متطابقة ولكن هو ليس منهم آسفت أنها لم تعثُر على حسابه كانت تريد أن تقرأ شخصيته من منشوراته واتجاهاته إلى أى النواحى تميل ثقافية أدبية أم

***

-٣-

فى الصباح وقف - جلال - فى الشُرفه ببيت أخيه يملأ صدره بهواء الريف النقى الشمس بكامل ألقها والسماء منظرُها بديع تتفرق بها كُتل السحاب الابيض راسمه لوحه ذات جمال بديع قلبه مُنشرح باستقبال سعادة يترقبها على عَجل هائم بأحلام لتعوضه عن سنوات الفراغ العاطفى والكبْت، ولكن عقله وفِكره متركز فى الحياه فيما بعد أن يدخل بأحلام والصِعاب التى يتوقعها والأحداث المُرتقبه والحالة التى ستُصبح عليها زوجته الأولى -نوال- كان قد أقنعها بضروره زواجه للإنجاب وقد استحال هى أن تنجب مرة أخرى

فى بيت أخيه -فخرى دائمًا - ما يبيت فبيته بجوار بيت أخيه -فخرى- وجاهز بكمالياته ولكن لا يسكُنه أحد يفضل جلال أن يقضى أوقات تواجده بالقرية عند أخيه - فخرى- حيث جهز له -فخرى- مكانه المُعد والدائم التجهيز والنظافة لاحتمالية مجيىء- جلال- فى أى وقت.

جلس مع - فخرى - وجميع أبنائه كان جوًّا أسريًّا بديع يعمه الفرحة والسرور يستعلم -جلال - من فخرى عن التجهيزات وما عليه من ترتيب وبالنسبه للالتزامات المادية فقد أعطى -جلال- لفخرى مبلغًا كبيرًا ليقوم بتجهيز كل اللوازم الصغيرة والكبيرة

وأكـد عليـه ألا ينسـى أى شـىء مهـما كان صغـيرًا عـرض - يونـس -عـلى عمـه أن يحجِـز فى قاعـة قريبـة ولكـن -جـلال- رفـض! فهـو يتـوق إلى الإحسـاس بالجـو القروى وحتى لا يتجشـم أحد عنـاء التنقل بالمواصـلات، ولكـن جـلال أخـبره أنـه سـيقيم سُرادق لا يقل اتسـاعه ومظهـره وجمالـه عـن مظهـر وجمـال القاعـه التى يتحـدث عنهـا يونس

كان جـلال سـعيد وكأنـه سـيتزوج لأول مـرة وعـلى ذِكـر- يونس- للقاعـة تذكـر -جـلال- ليلة زواجـه ب - نـوال - تجلت الصـوره التى مشـهدها سـيظل لاصقـاً بذاكرته وهو وسـط هالـة من نجوم ومشـاهير وصفـوة المجتمع نظر حولـهُ وهو العريس ! وجد أنـه لا يملك فى القاعه إلا نفسـه! لا أخ ينظـر إليـه ويرى ابتسـامة الفرح الصادقـة تتراقص على ثغـره ولا عـزوه تتناجـى فيـما بينها عـن العريـس وحالته أن كان سـعيد أم مرتبـك مـن الفرحـه لا احـد حولـه إلا العـروس وأهلها وقتها شـعر أنـه غريـب منفور ممـن حوله وكل ضحـكات التهانـى التـى يتلقاها ممن حولـه مـا هـى إلا نفـاق اجتماعـى، وواجب مفـروض ومصافحـات له مُزيلـه لمصافحـة العـروس مجبوريـن عليها ما أصعـب أن يشـعر المرء أنه ثقيـل حتـى على مصافحـة الآخريـن له !.

فى تلـك الليلـه وثق -جلال- أنـه اختار خطأ!.أنه نزل أرض ليسـت أرضه، ودخل سـوق لا يخرج منه بشـىء إلا مصمصة الشـفاه والأسـف عـلى مـا قـد كان انـصرف الجميـع وتركـوا -جـلال- يأخـذ قسـطاً من الراحـة كان معتـاد عـلى أن ينـام بعـد الظهـر ولـو بعـض دقائـق قبل أن يخلـد إلى القيلولـة دخـل عليـه -سـيد- ابـن اخيـه قـال له-جـلال - لما رجعـت مـرة أخرى

قال سيد شيء وكلام لابد أن تعلم به!

اعتدل جلال عن اتكاءه على الأريكة، وقال :خير يا سيد

قال سيد :أعرف شيء عن -أحلام-

هب فيه جلال واقفاً - وبصوت شبه عالى مصحوب بحنق قول يا سيد!

أحلام لها علاقات حب مع أكثر من شخص

من قال لك يا -سيد

كانت فى الجامعة ومن كان معها قال لى أنها كانت تمشى مع أكثر من واحد

قال له جلال: انت ذهبت للجامعة يا سيد!

لا يا عمى أنا لم أكمل إلا لثالثة إعدادى.

قال -جلال- :لا تسمع لأحد ما لم ترَ بعينك! اذهب يا سيد أنك ترمى محصنات! واتركتى أقيل.

فطن -جلال- إلى أن -سيد- مغتاظاً من هذا النسب للعداء الذى بين أهل أم -سيد- وتلك العائلة، ولم يهتم جلال بهذا الكلام لدرجه أن يجعله يفكر مجرد التفكير فى مناقشة العدول عن زواجه فقد كان -جلال- بالجامعة ويعلم أن الطلبة لا تستغنى عن بعضها فى الأسئلة واستعارة الكُتب وتداول المُذكرات تناسى -جلال وخلُد إلى النوم .

لأراد سيد لأن لغرس فى داخل عمه الوساوس والشكوك التى إذا ما فشل فى عدول عمه عن الزواج بها أن تظل سبب قلقلة وسوء ظن قد يودى بهما لنفس النتيجة التى يرجوها سيد وهى أن لا يكن لهم أى صِلة أو نسب مع تلك العائلة التى تُعادى أخواله.

كان عدم أكمال -سيد -للتعليم سبب فى كمية الشر التى تتملك منه فهو ذات فكر هدام ومن حوله يقرأ فيه خُبث ينضح من تصرفاته مع من حوله من أخوته أو أصحابه فكان الجميع يحطاط منه ويتعامل معه بحذر يريد أن يُكمل نقص تعليمه بلفت الانتباه لمن حوله أنه مثير للجدل فكان يحقد على يونس لأنه أكمل تعليمه، وكان أخيه يونس شخصية سوية يحمل الكثير من صِفات عمه الخلقيه وبه نفس أنطوائية عمه -جلال-

***

-٤-

أراد -جـلال- أن يتـم الزفـاف فى هـدوء دون جلـب فرقـة موسـيقية تُحيـى الفـرح .بينـما أصر - فتحـى -عـلى أن يجعلهـا ليلـة زفـاف يُحاكـى بهـا فى القريـة والقُـرى المجـاوره فقـد قـال -فتحـى - لجـلال :هـذا الـزواج الثانـى لـك ولكنـهُ أول فرحـة أختـى ! لابـد مـن أن تفـرح ! هـى ليسـت أقـل مـن كل الفتيـات التـى تُـزف ويُجلـب لهـا كل مـا يزُيـن ويجمْـل ليلتهـا قـال أيضًـا: فليـس لنـا أخـت سـواها! وقـام فتحـى بـكل الترتيبـات التـى لاقـت بـه وبمكانتهـم فى القريـة فذبـح عِجلـين مـن البقـر ووكل أمـر تجهيـز الطعـام والموائـد لصاحـب مطعـم شـهير وكان قـد نصـب سُرادق كبـير وانتـشرت الزينـة فى الشـارع وبالشـوارع المجـاورة عقـود الإضـاءة واللمبـات المزدانـه بألـوان شـتى زيّنـت الأرجـاء وفـرش نشـارة خشـب أخفـت ترابيـة الشـارع وسـبخة الأرجـاء وأضفـت منظـر ورونـق جميـل للمـكان كان كـف -فتحـى - فى تلـك الليلـة أسـخى مـا يكـون فقـد نظـر بعين الحِكمـة والترقـب إلى منتقديـه وممـن يتمنـون أن يتصيدوا لـه أى تقصير نحـو -أحـلام- كونهـا أخـت غـير شـقيقه وهـو منـذ ولادتهـا وحتـى زواجهـا يلهـث لإرضائهـا بـما أوتـىَ مـن قـوة وسَـعِد جـلال بعـد أن كان مُعـارض المبالغـة فى الاحتفـال بتلـك الليلـة، ولكـن فتحـى

لم يحفل بكلامه ونفذ ما يتماشى مع قناعته وكانت -أحلام- فى أبهى صورة ارتدت الفُستان الأبيض والطرحة كان كل واحدة من نساء أخواتها قد جهزت ل-أحلام- هدية زوجة -فتحى -ابتاعت لها عباءة خروج جميلة وإيشارب وزوجة - فهمى- أهدتها طاقم صحون صينى وزوجه-فريد- قد أعطتها مفرش سرير لم تستخدمه كان فريد - أقربهم سنًا لها من بين أخوانها، وكان حزيناً لأنها ستترك البيت

وتم الزفاف ودخل -جلال- بها فى بيت العائلة حيث جهز له -فخرى- المكان ولكن فى شقة منفصلة حيث أن البيت كبير مقسم على نظام مفاتح كل مفتح باب بشقته يدور بثلاث مفاتح والركن الرابع أرض فضاء من الخلف مستغلة كحديقة بها أشجار عتيقة ومركون فيها كل الأشياء المهملة والمستهلكة.كراسى، كنب قديم نخرة السوس، دراجة أطفال، وأطارات سيارات قديمه، وتلفزيونات قديمه، وأوانى مطبخ ألومنيوم ومنها نحاس، وبوتجازات قديمه صدئة، إنه مكان أشبه بمخزن خُردة وبالفعل هذا المكان يحتاج لتاجر روبابيكيا ينظفه ويدفع هو المقابل !.كل هذا البيت ملك ل -جلال -بمفرده! انتهى شهر العسل لم يتعدى أسبوع قضاها معها فى فندق فاخر فى القاهرة

كان يباشر العمل بالتليفون وكان يغيب عنها بعض الوقت يذهب فيه إلى المصنع على عجل ويعود اليوم الثامن أبلغها أنه دفع حساب الفُندق وسيعودوا إلى بيتهم فى البلد فى الصباح استقل سيارته» البيجو» وذهب إلى القاهرة أبلغ -أحلام -أنه سيعود بعد أسبوع لم تكن مفاجئة لها، ولكنه كان جاف فى ردة لها عندما ترجتهُ أن يبقى

معهـا بعـض الوقـت قـال لهـا أن لـن يـترك مصنعـهُ وعملـه ويجلـس بجوارها.هـى تعلـم ظـروف عملـه، ولكنهـا كانـت تتمنـى رد فيـه نوع مـن التـودد واللُطـف، كان عندهـا حـدس أنـه سـيعود لبيتـه حيـث زوجتــهُ وابنهُ

جاءتهـا «أمهـا» زائـرة لهـا كانـت -أم فحتى- زوجـه أبيهـا »، ولكن كانـت تناديهـا بأمـى» لأنها مـن ربتهـا بعدما توفـت أُمها وهـى رضيعه» وعلمت بسـفر -جـلال-! قالت لها -أحـلام- أنها من ترجتهُ أن يُسـافر مـن أجل أن يطمئن على سـير العمل فى المصنع هـى تدافع عن اختيارها!

كان -جلال-بالنسـبه لهـا غامـض لأبعد الحـدود لم يتثنى لهـا فى تلك الفـتره الوجيـزه أن تنفُـذ إلى أغـواره أن تعـرِف مفاتح شـخصيتهُ ونقاط ضعفـه ولكـن يوجـد حاجـز يفصـل بينهـم لاتعـرف متى يتلاشـى فهو متحفـظ لأبعـد الحدود.حـذِر فى كلامـه القليـل، شـارد الذِهـن وكأنـه يترقـب شـيئاً ما

وفى يـوم قـال لهـا: علِمـت انـك عـلى مـدار سـنوات قبـل زواجنـا وأنـت ترفُضـين العريـس يـلى الأخـر! لمـا وافقتـى عـلى طلبـى أنـا دون غيرى؟!

تـضرج وجههـا خجـلاً وقالت أنـت الوحيـد الذى لم أخـذ أى وقت للتفكيرفيـه بـل قُلت لأخـى- فتحى -أنـى موافِقـة دون أى تفكير

لا أعـرف السـبب، وأعـرِف أنـك متـزوج، فلـم أنظـر إلى أنـك غنى فأنـا أملـك أيضًـا المـال ولكنـى وافقت !

قالـت: كنـت عندمـا أراك قادم بالسـيارة مـن بيتكم الكبـير ولا أجد زوجتـك كنـت أتخيل نفسـى زوجتـك، وأنت تفتـح لى البـاب، وأدخل

البيت ويدى فى يدك! كنت أرى فيك وجاهة مفتقدة عند الكثير

امتلأ -جلال- من داخله زهوًا بنفسه وحبورًا، وقال: كنت أسمع أنكِ ترفضين كل خاطب حتى قبل أن أراك، ولكنى كنت أسمع عن رفضك لقبول أحد، أخذنى الفضول أردت أن أراكِ ولكن عدم بقائى هنا حال دون ذلك، وعندما رفضتى الجلوس بجوارى فى (المكيروباص) وعندما نزلتِ أمام البيت عرفتك وعرفت أنك من تتدللين صممت على أن تجلسى معى عمرك كله! ضحِك وقال لها: متذكًره؟!

قالت أنا فعلت ما يجب على اى أحد مكانى فعله لا أقصد أن أرفض الجلوس بجوارك.

قالت ومن دلَك على أن تخطُبنى

ضحِك لفطرتها النقيه! وقال من أخبرنى هو علمى برفضِك المتتالى للخاطبين.

أردت أن أتزوجك انت ! إنت بالذات! قد تظنين أنى طامع فى أرضك قال: أعشق الأرض والأرض حُبى الأول فى المال، ولكن عندى الكثير والحمد لله، ولكن كثرة الخاطبين جعلتنى أتيقن أن بك شىء ليس عند غيرك.

قال لها عدينى ألا تكونى لغيرى مهما حدث!

أطرقت برأسها لأسفل وأومأت بالموافقة

فلن تخرجى من قلبى مهما حدث أو جرى من شىء أشعر أنك من سيستوعبنى ويستوعب همومى وآلامى أفراحى، وأتراحى

ونزلت من مقانيه عبرات حاول أن يستعيد رباطة جأشه، ولكنه تلذذ بشعوره حيث لحظات الصدق ومناجاة الحبيب كما يناجى ذاته جعلته يفقد السيطرة على قنوات عينيه أن تذرف المزيد من الدموع.

عندما يتذكر -أحلام- يربط بنيها وبين الأرض التى يعشقها بقاسم مشترك الأرض التى تعطى بلا بُخل أو ضجر كلما رويتها كلما منحتك إن رويتها بنيه أو بلا نيه لا تبخل أن تجود بما تحمل داخلها من فيض الخير والنماء

قالت له: ماذا ينقصك حتى يتملك منك كل هذا الهم والغم؟!

قال : ستعلمى كل شىء فى وقته!

كان -جلال - يحلم بأن يجمعهم جميعًا مكان واحد بيته القديم الذى تقطنه - نوال- كبير ويستوعبهم جميعًا -نوال- وأحلام -ونبيل ولكن هذا أمر مُستحيل أن ترضى به -نوال- تمنى لو يستطيع أن يستوعبهم جميعًا بنفس القدر والمقياس والعدل الذى يؤنب نفسه عليه وهو رب به عرض الحائط كان يترك لك مصروف كبير جدًا بالنسبه لمتطلبات البت

ولكن كان يرى فى ذلك تعويض لها وهو يرى أنه جائر على حقها العاطفى والزمنى لصالح -نوال- ولو شكى له ما يجوس فى خاطره لقالت له خلِى عنك منى ! يكفينى ما يفيض من بحرها ولكن غايتى أن اظل معك على الدوام هو لا يُظهر لها ما يجيش فى داخله نحوها من حُب إلا فى بعض الأوقات فيما عدا ذلك يبدو دائمًا مُنشغل أو صامت صمت يشوبه الامتعاض تقرأ حالته النفسيه من ملامحه تتعامل معه بمقياس حساس فلا

تطلـب منـه شـيء إلا إذا وثقـت أن حالتـه النفسـيه ذات مـزاج طيـب ولم ينغـص عليـه شـيء فى العمـل أو بينـه وبـين -نـوال-

***

-٥-

أحـلام سـعيده بحياتهـا الجديـده التـى ولجتهـا بمحـض إرادتهـا وباختيارهـا تُرتـب البيت وتمسـح الأرضية وتجففها تُعيد بسـط السـجاد بعـد أن تنفـض عنـه الأتربـة يملأها السـعاده والحبـور وهى تقـوم بكى قُمصـان- جـلال- وترتـب خزانه ملابسـه ترتيـب دقيق تُعد كل شـىء ليعود-جلال-ويجـد بيتـه فى أبهـى صـوره كانـت تُحـب نظافـه المـكان تكـره تراكـمْ الأتربـة فـلا تكـف عـن التنظيـف بـين الحـين والآخر

اتصلـت عليهـا نـوال بمجـرد أن أعـاد جلال تشـغيل خـط التليفون المنـزلى الـذى كان مُعطـلاً باركـت لهـا فى تهكُم يشـوبه الحنـق وفى تحدى سـافر أبلغتهـا أن جـلال فى بيتـه الأساسـى وأنـه لـن يعـود إليهـا إلا إذا أذنـت لـه هـى أبلغتها أنهـا سـتمنحه الإذن يوم الجمعـه القادم ثـم قالت لهـا إذا أردتِ الطـلاق وأنـت لم يمُر عـلى زواجك إلا شـهور أبلغيه بتلك المكالمـة حتـى تقـول النـاس ماذا وجـد بهـا حتـى يُطلقها وهـى عروس ولم يمـر عـلى زواجها إلا شـهور؟! قالت نوال أيضاَ: لن تشـهدى سـاعة هنـاء ما دمـت حية -أحـلام- لم تسـتوعب ولم تتوقع هـذا الموقف وهذه المكالمـة المفاجئة

لقد تجمدت الكلمات وأُصيبت بالبكم وأغلقت السكة -نوال- وتركت أحلام فى حالة من الشرود والخوف معًا لقد أخافها صوت نوال وهى تتحدث بوعيد وحقد مخيف

-أحلام- تتذكر ملامح وجهها حينما كانت تأتى مع جلال كانت -أحلام- فى سن المراهقة كانت -نوال- سكوته بتعالى وهى. لم ترتاح لوالده -جلال -الراحله ووالدة جلال لم تحبها قط.بسبب سوء طباعها ما هوّن على والدة -جلال- أن تعيش بدونه مع أخيه الأكبر بالرغم من حالته الماديه المتعسره إذا ما قورنت بحاله -جلال-وقد ضاع ماله فى المجازفه فى تشغيل أكثر من ثلاث مزارع دواجن بيضاء وتعرضت المزارع لأمراض قضت على أغلب الإنتاج وضاع أغلب رأس المال فأصبح يعمل بالزراعة فى أرضه القليلة المتبقية ويباشر أيضًا أرض -جلال - وبعدما كان يعتمد فى عمل الأرض على كراء الانفار.

جاءها أخيها الكبير -فتحى- كان يشعر أنها غير سعيدة.

وتأكد -فتحى -أن -جلال-كان يكذب عندما قال لها أنه فى جو مشحون بالمشكلات مع زوجته وعلِم فتحى أنهما لم يتفرقا وهى لم تغضب أو تذهب إلى بيت أهلها كما كذِب وادعًا

ولكن أحلام كابرت وطفقت تدافع عن -جلال- وركبت جواد العِند وشعرت أنها أنهزمت أمامهم فجميعهم كان يرفض جلال - وهى التى فضّلته دون غيره شعر -فتحى -انها تكذب فقال لها لو أحتجتِ أى شىء أو تعبتِ من شىء لا تترددى فنحن أهلك، ونحن نستطيع أن نحميك ولكنها بدلاً من أن تشكره وتقل له ما يشرح صدره طلبت منه أن يسلمها أرضها بعد جنيهٌ للمحصول الحالى

لم ينبس -فتحى -ببنت شفه «وصمت بعض الوقت ينظر إليها فى ذهول محدثا نفسها» أنه من رعاها صغيرة وأصر على أن تكمل تعليمها وهو ينفق عليها وهو من حافظ عليها وعلى مالها المدخر لديه وكان يُخرج لها نصيب من كُل شىء يبيعه دون أن تُشارك فيه بأى مجهود كباقى أخوته مع أنه كان ينوى أن يفعل ذلك، ولكن كان ينتظر أن تستقر وتطمئن -لجلال-» واستطردت قائلة ليس -لجلال- دخل فى موضوع الأرض انصرف فتحى وهو لا يلوى على شىء ما عاد ينوى أن يكن لها ناصحًا من بعد الآن وأرضها ووما لها من مال قديم مدخر سيعطيه لها ولن يراجعها فى شىء إلا أنه سيبلغ والدته وأخوته بما سيفعل حتى يبرىء ذمته منها أمام الجميع ومن مالها الذى حفظه لها منذ عشر سنوات حتى أن جهاز عرسها تم شراءه من ماله ومال اخوته ! وقد رفضت رجولتهم والنخوة لديهم أن تتكلف هى أى مال من مالها الخاص كما جرى العُرف فى الريف !.كان يتمنى فتحى لو اختارت وقت أخر لتطالبه بالأرض خرج من عندها غاضب ليس لمطالبتها بأرضها وإلا كان ينوى الطمع فيها ولكن غضبه كان من الوقت الذى أختارته والغيظ الذى بدا عليها وهى تتحدث معه مطالبه بأرضها.وهو الذى تجشم عناء السؤال وتعطيل أعماله ليطمئن عليها

ويشعرها انها ليست بمفردها

شعرت أحلام أنها قد أحبت -جلال - من أعماقها ومن داخلها قررت أن تتغاضى عن تأخره عليها الذى زاد عن حده فعزمت ألا تُقرعه ولا تؤنبه.

إذا ما تأخر لابد أن تلتمس له العُذر بسبب انشغاله بالمصنع وقد وضعت فى حُسبانها أن له بيت أخر فبيتت النيه على أن أى تقصير فى واجباته نحوها لابد أن يُقابله قوة تحمل وجَلد وصبر منها نحوه حتى يستمر بيتها مفتوح كانت تشعر أنها بمجرد زواجها وخروجها من بيت أبيها أصبحت خارج حسابات الجميع لديهم الاخوه غير أشقاء! والأم بالرغم من حنانها وطيبتها الزائده ليست أمهاأيضاَ! حتى أن غُرفتها التى كانت تشغلها فى بيت والدها قد يكون فهمى ضمْها لنفسه غير عابىء بها انها ستعود للزيارة أو أى شىء طارىء فلا تجد المكان الذى يشعرها بملكيتها له أصرت أن تنجح وتُنجح حياتها الزوجية لقد وجدت ضالتها فى المكان الذى كانت تروم إليه بل أرحب مما كانت تتوقع وهى سيدته تفعل به ما تشاء من تغيير أو ترتيب أو تبديل داخلى

***

-٦-

انتظرت أحلام يوم الجمعة الموعود الذى أبلغتها عنه -نوال-أن -جلال سيأتى فيه كان داخلها رجاء مركب بتمنى -جلال- ليرتوى ظمأها له وكانت تتمنى عدم مجيئه ويخيب أمل وحديث -نوال- أنها من ساقتهُ إليها سوقًا بإرادتها على أنها تهبها فضلتها ولكن!

عاد -جلال- يوم الجمعة كما أخبرتها -نوال- بالفعل

وكلما همْت أن تُخبره بما دار بينها وبين- نوال - من حديث تليفونى تذكرت تهديد -نوال- لها فتصمت سألته :وجدت شقة ؟

قال :اشتريت قطعة أرض فى حى جديد أشهر وستنتقلى إلى بيتك الجديد!.ابتسم وهو يداعب خصلات شعرها المتدلية بالقرب من عينيها شعرت ببعض الأمان لما وجدت اهتمامه بما تطلب ثم سألها عن الحمل وسبب تأخره وقد مر ستة أشهر

تبسّمت وأطرقت لأسفل وهى خجلى قالت احتمال أن يكن قد حدث ولكن تريد التأكد لم يتمهل وطلب منها أن تجهز للخروج وذهب بها ليتأكد كان اليوم «جمعه» ولكنه دار بها على أغلب اطباء النساء والتوليد حتى وجد عياده طبيب تعمل الجمعه وتأكد من حملها بعد كشف الطبيب وامتلأ جلال بهجة وحبورًا وثبتت هى

أركان عِشها وشعرت بالطمأنينة وأنها حققت له ما يصبوا إليه وتجلى إليها منظر ضُرتها -نوال- ووجهها المكظوم المتقع بمجرد أن تعلم بخبر حملها ! شعرت أنها ردت على إهانتها وتسلطتها ولكن بطريقة عملية طريقه تعجز هى عنها وأصبحت لها مستحيلة بعد أن أصبحت عقيمة

لم تخبر - جلال - بما دار بينها وبين أخيها -فتحى- كانت ترى أن موضوع الأرض موضوع خاص بها ولن تسمح له أن يضُم أرضها إلى أرضه ولا أن يسلبها أى مال من مالها حتى لا يعتاد على ذلك (هكذا حدثت نفسها وجهزت ردها الذى ستقولهُ له إذا ما طلب منها مال أو أن تنقل له ملكية الأرض)

بل يجب عليه ألا يفكر فى مالها من الأساس أن يأخذه ليصل منه إلى ضرتها التى أزلتها فى المكالمة التليفونية والتى تكن لها كل بُغض واحتقار

جاءت أم فتحى فى الصباح لتبارك لـ -أحلام- على خبر حملها الذى سرى فى القريه سريان الصوت فى الأثير وبالذات فى العائله وبيوتات العائلة كانت أم فتحى هى من ربت -أحلام- وهى طفله ابنة أشهر بعد أن ماتت أم- أحلام -بسبب لدغة ثعبان.لم تنفع معها أدوية ولا إسعافات ماتت بعدها بساعات قليلة كان والد أحلام قد تزوجها وعاشت مع ضُرتها فى نفس البيت إلا أن ضرتها -أم فتحى- كانت طيبة لم تسىء معاملتها وعاشت فى سلام ووئام حتى ماتت وتركت -أحلام - رضيعه فى حِجر أم فتحى، وعندما وعت-أحلام-على الدنيا وهى تناديها بأمى وما زالت حتى بعد أن تزوجت استقبلت -أم فتحى- بجملة «تعالى يا أمى» و»مرحبًا بك

يـا أمـى «.حتـى أن أخوتها الكبـار لم يشـعروا نحوهـا إلا بعطف جارف كونهـا يتيمـة الأم ولم يكرههـا أحد كونها غير شـقيقة أو أنها ستقاسـمهم المـيراث وفكـرة توزيـع الأرض ووالدهـم الحـاج- مدبـولى - حـى على قيـد الحيـاه كانـت من اقـتراح أم فتحـى حتى تضمـن أن تلـك اليتيمة لا يُهضـم حقهـا فيـما بعـد إذا مـا رحـل والدهـا الحـج- مدبولى -

دخلـت بيـت -أحـلام- وأطلقـت الزعاريـد وعبـارات التهنئـة والدعـوات بإتمام الحمـل على خير.قابلهـا -جلال بكل تِرحاب وشـكر لهـا فرحتهـا مـن أجـل حمـل -أحـلام- وسـألها عـن- فتحـى- وإخوته وقـدّم لهـا اعتـذار عـدم زيارتـه لهـم بسـبب ضيـق الوقـت والانشـغال الدائـم ووعدهـا أنـه سـيأتى إليهـم مـع أحـلام فيـما بعـد وطلـب مـن أحـلام أن تذهـب لتزورهـم على فـترات، وقال لهـا أن السـير والرياضة فى صالـح إتمـام الحمـل.

لم يـوارى -جـلال -سـعادته بحمـل -أحـلام- ومـلأت فرحتـه الأرجـاء حتـى أن أحـلام -لم تصـدق أن -جـلال قـد أنجـب مـن قبـل ذهـب للتسـوق وعاد محمـلا بأكياس مكتظـة بملابس الأطفـال ملابس أولاد وملابـس بنـات ولعـب أطفـال وهدايـا لـ -أحـلام- عبايـات واسـعة مسترسـلة ملائمـة للحمـل وأطقـم

ولكنهـا رمقـت بـه شـيئ خفـى ! ترقُـب، خـوف تعجُل على السـفر لولا اسـتعطافها لـه أن يمكـث يومين إضافيـين وإن كان المصنع يَشـغله فيوجـد مـن يقـوم بـالإدارة وهـو يباشر العمـل بالتليفـون، ولكنـه كان يضـع فى حُسـبانه -نـوال- وشـغفها به وغيرتهـا التى لا ينضـب اتلاعها ونارهـا المسـتعرة ونفـس الغـيرة التـى تشـتعل بداخلهـا يوازيهـا الحمية والانشـغال عنـد والدهـا عليهـا.كان والدها يحيـا من أجلهـا ومن أجل

سعادتها حتى بعد زواجها نشأت -نوال- فى وسط مرتفع مستوى معيشته! لم تُذق مرارة الفقر ولم تلامس الحرمان قط طلباتها جميعها مُجابة كانت تأمر وحسب كانت خلافاتها مع -جلال- كثيرة وفى النهاية لا ينفذ إلا ما تقرره هى

كان طبعه الريفى يرفض الانقياد لأمرأه أعتاد على الوضع منذ أن تزوجا زادت محاولاته إلى أن يبرز لها أهمية دوره وواجب الطاعه الواجب و المرجو منها، ولكنها كانت تعتد برأيها حتى لو كان به عِلة هكذا تطبعت على ذلك منذ نعومة أظافرها

ما لم يبوح به -جلال- لـ -أحلام- هو إغراقه فى الديون وتوقيعه على شيكات بدون رصيد كان يقترض ليكمل ثمن شراء أرض جديدة كان يعتبر زواجه من -أحلام- ضرب من ضروب المغامرة، ولكنه تحداهم لأنه يريد الإنجاب هكذا أقنعهم، ولكنه كان يبحث عن سعادته المفتقدة أى أنه تزوج -أحلام- من أجل أن تنجب له ولو مرة واحدة، وتكتمل نواقصه العاطفيه

هو يحب الأطفال حتى علاقته بابنه -نبيل- علاقة يطغى عليها العطف والشفقة نظرًا لنوبات الصرع التى تنتابه، فالأرض معرض أغلبها للبيع إن لم يسدد ولا ينقذه إلا أن يصبر عليه طاهر- والد -نوال- لذا توجب عليه ألا يستفزه أكثر من اللازم كان عليه أن يعتمد على أرباح المصنع فى تسديد ديونه، وحتى إنتاج المصنع ترويج وتوزيع إنتاجه قائم على نفوذ-طاهر وعلاقاته بما له من علاقات متعددة للكثيرين من المستثمرين والتجار وتجار الجُملة كان مُكبلاً مِن كل جانب مُقيد برضا - طاهر-والد -نوال-

كثيرًا ما كان يخجل من نفسه عندما يتذكر ما له من أرض وبيت مساحته لا تقل عن خمسمائة متر فى قلب القرية ومع ذلك يقترض ويستعطف -طاهر- أن يعطيه وقت لسداد ما عليه وما أن ينتهى من السداد حتى يُعرض عليه شراء مساحة أخرى من الأرض فيضطر أن يجمع ما معه من سيولة ويعود فيقترض مرة أخرى من حماه «طاهر» الذى يمنحه قروض بلا تردد، ولكن بعد أن يوقِع على إيصال أمانة كان طاهر يشعر أنه بسعادة مادام على -جلال- دَين له يشعر أن -جلال- ينصاع له ولنصائحه التى منبعها التسلط وحُب القياده وتوزيع الأوامر والمهام التى أوشك أن يفقد كل ذلك وقد اقترب سنه القانونى على الاستيفاء وقد يتجه إلى إقناع -جلال- أن يعمل معه فى المصنع بأن يقوم بأى عمل يكن به مهام قيادية يُشبع به النقص الذى سيجتزه منه وفاءه لسن المعاش

***

-٧-

أرسل -فتحى -ذات يوم فى طلب أحلام -جاءت- وهى تعلم أن الأمر مُتعلق بموضوع الأرض أخبرها أن أرضها أصبحت جاهزة وخالية من أى زرع تستطيع أن تفعل بها ما تشاء وكان قد جهز لها كل ما ادّخره لها من محصول الأرض بعد أن كان يخصم مقابل عمله وانشغاله تراكم لديه مبلغ كبير لم يكن كبير فى حُسبان فتحى لأنه كان يدخره غير ناظر إلى امتلاكه أو حبسه عنها، بل كان يعلم أنه حامل لأمانة يتيمه، وفى نفس الوقت هى أخته وإن كانت أخته من أبيه، ولكنها أخته! ليس لها من يحمى مصالحها ومالها غيره أو أحد من أخوتها أخذت المال وداخلها أسف كبير لِما صَدر منها ومطالبتها ل -فتحى -بالأرض وهو فى زيارة لها من أجل الاطمئنان عليها طلبت من- فهمى- أن يرعى أرضها وله نصف المحصول على أن يقوم بتحمل كل شىء من عمل وحرث وبذور وسماد وكراء فلاحين، ولكنه نظر إلى -فتحى- وشعر بالخجل واعتذر فى نفس اللحظه، ثم طلبت من -فريد- ذلك واعتذر فريد أيضًا .وطلب -فتحى- من -فهمى- أن يتولى أمر أرض أحلام، وهو لن يغضب أو يحمل داخله ضيق من ذلك

ولكن فتحى كان بجعبته المزيد إذا أخبر أخويه فهمى - وفريد أنه ينوى أيضًا تقسيم الأرض والمواشى، وليرى كل واحد طريقه فى الحياة، قال فتحى التقسيم حادث لا مُحال، ولكن أفضل أن نقسم الأرض ونحن متحابين ليس بيننا خِلاف كانت الأرض مقسَّمة وكلاً منهم يعرف نصيبه أراد أن يُعطيهم هم الأرض الأجود والمجموع أغلبها فى مكان واحد، ولكن فهمى وفريد أصروا أن يظل فى تلك الأرض وتبلغ مساحتها سبعة أفدنه قطعة واحدة إكرامًا له وعدم طمعه فى الأرض وهم صِغار وقد كان هو مع والدهم كتفًا بكتف لم يكل ولم ينظر إلى صِغرهم وكان كل شىء يتم شراءه كان يُكتب باسم والدهم أى أن المنفعة كانت تعود على الجميع، حتى أن الجرار الزراعى وسيارة نقل صغيرة كانت باسم -فتحى- أدخلهم فى التقسيم بعد تثمينهم بواسطة تاجر أحلام ذهبت حيث يقف فتحى ومالت نحو يده تقبلها وهى تنتحب شعورًا منها بالتجاوز معه، ولكنه سحب يد ه سريعًا وقالت : بسببك ارتاح الجميع ومسح على رأسها فى حنو ورضا لا داعى إلى تأجيل ما يتمناه ويفكر فيه الجميع أخذت المال وقبل أن تذهب إلى بيتها انفردت بأخيها -فهمى- وتركت معه المال حتى تفكر ماذا ستفعل به وبعد أن أخذ -فهمى- المال أعاده لها، قال إنه لا يتحمل مسئولية مثل هذا المبلغ الكبير ذهبت وشكت ل -فتحى- عن عدم قبول -فهمى - أن يحتفظ لها بالمال ضحِك -فتحى -وقال لأحلام:المبلغ عندى حتى تأتى وتأخذيه وقتما شئتى.أراد أن يشعرها أنه غير غاضب أو مغبون، ثم استطرد قائلاً :ومن الأفضل أن تضعيه فى البنك باسمك هذا أمان لك ولمالك شكرته -أحلام- وتعجبت فى داخلها من نفسها وقال

لما لم تأتيها فكرة وضع المال فى البنك قبل ذلك وعندما عادت لبيتها طفقت تؤنب نفسها أنها كانت السبب بأن عزل أخوتها وتفرقوا من بعد شملهم الذى كان مجموع منذ وفاة والدهُم علمت ووثقت أن -فتحى- رجل بمعنى الكلمة كان لها نعم الأخ والأب على مدى عمُرها الذى وعته وأدركته لم تشعُر فى كنفه بيتم ولا عوز أو حاجه بتر أى حديث مع نساء البيت أن تدخُل معهم الزريبة أو تلوثها فى نظافه أو كنس أو تنظيف موضع المواشى جعل منها شبه سيده للبيت بالرغم من صِغر سنها قياسا لنساء أخوانها ونصيبها فى الميراث لم يجور عليه بل خلطة مع الجميع وكان ينموا مال الجميع وكل مدخراتها عام بعام كان يحفظها لها حتى عندما جرحته وطالبت بأرضها بطريقة خاطئة بها غيظ وحنق استوعبها ولم يقابل طيشها ونزقها إلا بالصبر والتروى

وأعطاها أرضها التى سلمتها لفهمى لتثق فقط أنها أصبحت صاحبة أرض تعطيها لمن تريد يزرعها لها أو تؤجرها ! بل وتفعل بها ما تشاء وتبيعها إذا ما أرادت ذلك!

***

-٨-

فـرغ -جـلال- من تجهيـز البيت علِمـت بذالك -نوال- منـذ البداية أرادت -نـوال- أن تنتقـل هـى إليه رفـض جلال رفض قاطـع لا رجعة فيـه أقنعهـا أن البيـت الجديد بعيد عـن كل الأماكن التـى ترتداها

وبعيـدًا عـن بيـوت عائلتهـا وأنهـا سـتلقى بنفسـها فى شـبه صحـراء قاحلـه ونبههـا إلى بُعـده أيضًا عـن الطبيب الـذى تباشر معـه حالة ابنهم -نبيـل- حتـى همـدت -نـوال- وكفت عـن الالحـاح على هـذا الأمر

تمـر أيـام الشـهر الثامن من حمـل -أحلام- وكلـما أطرقت إلى أسـفل ورأت بـروز بطنهـا اجتاحهـا شـعور مركـب مـا بـين الخوف مـن خطر الوضـع عـلى حياتهـا وبـين أنهـا سـتكن السـبب فى سـعادة- جـلال- عندمـا يـرى طفلـه الـذى يترقـب قدومـه بتمنـي ورجاء

بمجـرد انتقـال -أحـلام- للقاهـرة حتى اشـتعلت نار الغـيرة داخل -نـوال- بـدأت تؤنبـه وتشـعره أنه يميـل إلى أحـلام -أكثر منهـا يحاول إقناعهـا أنـه تـزوج -بأحـلام- لغـرض الإنجـاب ليـس إلا، ولكنها لا تكـف عـن هـذا المنـوال حجبتـه عـن -أحلام-فـلا يذهـب إليهـا إلا سـاعات ويتركهـا مُتعلـلاً بأسـباب مختلفـة فى كل مرة كانـت أحلام على ثقـة ودرايـة مـن خـلال تخيلها أن قِلـة مجيىء جلال سـببه تدخـل -نوال

-فى ذلك، كانت -أحلام- تعلم قوة أهل -نوال- وأن لهم من الثراء والمعارف ما يجعل -جلال- يلين إلى تنفيذ مطالب -نوال-

فهُم من كانوا سبب فى توظيفه بوظيفة مرموقة ثم تركها، ثم ساعدوه فى إنشاء مصنع بمساعدة والد نوال له بقرض منحة إياه لترتفع نسبته فى رأس ليكن له حق الإدراة، وسهلّوا له وزيلوا كل العقبات حتى أنهم كانوا يروجوا له الإنتاج المتكدس حتى وقف المصنع على قدميه وأصبح إنتاجه ذات جودة فى الأسواق مصنع ألبان ومشتقاتها وبه قسم للعصائر وآخر للصلصلة والمربى

جاءت ساعة الصفر وجاء -جلال -مُسرعًا إثر مكالمة -أحلام- له بالتليفون أنها تشعر بأوجاع الوضع، ذهب بها إلى طبيب وظل خارج غرفة العمليات يترقب خروج الطبيب ليبشره بانتهاء الولادة ؛ ليفرح بفك كربها ويتخلص من الترقب والانتظار الذى أرّقه، كانت ولادتها قيصريه عانت فيها -وكادت أن تفقد حياتها

خرج الطبيب باسم الوجه يجفف جبينه الذى كان يتفصد عرقًا قال ل-جلال- تبارك الله بنت كالقمر تغير وجه -جلال- وسكنت الفرحة التى كانت تكسوا قسماته وكظم وجهه وكأنه قد أُخبر بخسران صفقة كان يبنى عليها آمال كُبرى

استدعى -جلال- ضحكة مرتجلة مع أنه حين اشترى للجنين ملابس قبل أن يُولد أشترى ملابس للنوعين، ولكن يبدوا أن حُب البنين فطرى، وربما لا يتمناها أنثى كى لا تُظلم فى هذا المجتمع الذى يجور على الأنثى ويسلبها حقوقها ويفرض عليها ما لم يفرضه على الذكور، ودخل وجلس على طرف السرير حيث ترقد -أحلام- ووضع يده على رأسها وحمد الله على سلامتها

مالت أحلام -بوجهها صوب الطفلة الراقدة فى مهدها وسألته عن الاسم الذى يرغب فيه قائلاً لها: سأترك لك أن تسميها أنت استشعرت -أحلام- عدم سعادته كونها «بنت»، وقالت له إنت غاضب لأنها ليست ولد! قال لها : لو حق غاضب كونها بنت ما اشتريت ملابس لها قبل أن تولد ابتسمت راضية، وقالت ما رأيك فى اسم «حبيبه» ؟ أرغب أن يكن الحب ما يربط بيننا و-حبيبه- من الحُب حبيبة أمها وحبيبة أبوها

دسَّ يده فى جيبه وأخرج مظروفاً وقال لها حتى تعرفى أنى سعيد مَدَّ نحوها المظروف ووضعه فى يدها وقال: عقد البيت الجديد باسمك بيع وشراء منى لك امتلأت -أحلام- بالسعادة كونها وثقت أنه يحبها ويشترى سعادتها بأعز ما يملك

فالبيت هو اعز ما يرغب الرجل أن يكن البيت ملك له وليس لغيره من دونه، ولكنها شعرت بعدم ارتياح من ذلك لاتعرف لما؟ انتابها خوف كالعاده من شيىء ما! حمل الطفلة وطفِق يطوف بها جنبات الغرفه، طفق يحملِق فيها يقرأ فى وجهها ملامحه قال لأحلام: أشبه لأبيها عن أمها وضمها إلى صدره انتشت -أحلام-لفرط سروره بالطفلة.

علمت -نوال- انه جلال- كتب البيت الجديد ل-أحلام- فأصرت أن تتساوى بها وأن ينقل لها مِلكيه البيت الذى يقطنوه واجتنابًا لاختلاق المشادات والصِراعات

نفذ رغبتها وكتب لها البيت وصار هو بلا بيت ! الا بيت البلد!.

كان جلال يمتلىء بحُسن النيه نحو الجميع حوله ممن يمتون له بصِله فكان الجانب العاطفى لديه يطغى على الحسابات طالما فى مقدوره فكان بطبعه سخى وكريم وهذا لا يتنافى مع حبه للعمل والعمل على الثراء السريع وحُب الأرض لديه يشعر أنه لا إرادى فقد كان والده كذلك

ورأى وهو صغير والده وهو يوقع على عقد تنازل عن قطعة مقابل قطعة بنفس مساحتها فى مكان آخر فرأى والده وهو يأخذ بعض تراب تلك القطعة ويتشممه، ثم وضع حِفنة فى منديل يد أخرجه من جيبه وعصبها فى المنديل واحتفظ بها فى البيت وكأنها أثرٌ.

فى تلك اللحظه نفرت من عين -جلال- الدموع لا يعرف على أى شىء ذرفت عيناه الدموع من مقانيها

***

-٩-

بعد وضعها ابنتهم -حبيبه- بدأ يغيب عنها -جلال- لأسابيع، ولم يكن اهتمامه بالطفلة الاهتمام الموشى بالسعادة بها، هذا ما تشعر به - أحلام- وكلما عاتبته على الغياب الطويل: قال ماذا ينقصكم ؟!.

تقول أحلام : ينقصنا أهم شيء لنا هو أنت!.

يمكث معهم سويعات ويذهب لبيبته الآخر، بدأت تضيق به ذرعًا ولم تشكوا لأحد.

زارها ذات يوم أخيها -فتحى -مكث عندها ثلاثه أيام كان يخرج لقضاء مصالحه منذ الصباح ويعود عند الأصيل خلال ثلاثة أيام لم يأتِ فيها -جلال- مما أثار فضول -فتحى- وقال:

أين زوجك ؟

قالت وكأنها كان مرتبه الرد مسافر فى عمل!

شعر - فتحى -أنها تكذب فقال لها أنتِ أختى، وفى سن أولادى فلا تُخبئى عنى شيء لو حدث ما يُعكر صفو حياتك مع -جلال - أنا أذهب إليه وأُحل ما بينكما من خلاف

أصرت على التملق والاستمرار فى الكذب والمكابرة

لم تكن واثقة من حقيقه كلام -فتحى - إن كان عن حُب أم عن تشفى وتقصى عن أسرارها لُيذيعها بين اخوانها عندما يعود جُبلت على سوء الظن ! قلبها دائماً متوجس خيفة من كل من حولها

ترك -فتحى- لها مبلغ من المال قالت أن معها الكثير من المال، ولكنه قال لها أن ليس لك انه -لحبيبه- واستأذن فى الانصراف ليعود للبلد، وطلبت منه نقل سلامها إلى الجميع

خرج فتحى من عند أحلام متوجهاً إلى -جلال- بالمصنع تسرب داخل -جلال بعض الرهبة من قدوم -فتحى-فقد كان لفتحى شخصية قوية ولا يهاب أحد كان -جلال- يملك من الصبر ما يحتوى ضراوة -فتحى -واندفاعه كونه ريفى جُبل على الصراحة وعدم المداهنة! رحب -جلال- به وأخلى مكتبه انفرد به أهلا أهلا يا حاج -فتحى -

قال -فتحى-: أنا عند أحلام منذ ثلاثه أيام وكذبت، وقالت بأنك مسافر ما الأمر يا جلال بيه؟!

قال -جلال -:»إنه منهمك بعمل وإنتاج مطلوب إنهائه»

قال -فتحى الموضوع غير ذلك زوجتك غير سعيدة

-هى شكت لك من شى؟! ينقصها شىء؟!

-وعندنا لم ينقصها شىء ! نريدك أن تجيىء وتذهب إليها لاتتركها هكذا وإلا أخذتها تجلس بيننا فلا نخاف عليها ومن وحدتها

وجد -جلال- العصبية ستنتاب -فتحى- فقال له أعدك أنى سأوفقك بين كل شىء وفهم فتحى أنه يرمى إلى بيته الآخر

وفى الليل جاء -جلال-ليوبخ -أحلام- وينهرها وينعتها بالفلاحة التى لا تقدر ولا تزِن الأمور كان مضغوط من قوى عليه جعلته يهد جسور المودة بينه وبين-أحلام - لم تنبس أحلام ببنت شفة إلا أنها سألته عن سبب ودوواعى كلام

قال لها عما صدر من فتحى

قالت له : لم اطُلب منه أن يذهب إليك أخبرنى أنه متوجه إلى القطار وأقسمت على ذلك

قالها فى عصبية وحنق: تهددينى بأخوتك؟! أنا فوق أى تهديد ولو تكرر سأمتنع عن مقابلة أى منهم سأجعل الأمن يطردهم!

ولكنها انفعلت وقالت أت تطرد أخوتى!

أنت تعرف من نحن ومن أخوتى مهما حدث وإن كانوا غير أشقاء فهم أعز شىء عندى لم أرَ عز إلا على يديهم »قالتها وترمى بالكلام على فترة زواجها «.

لم تعرف -أحلام-أن جلال مأمور بتطليقها منذ أن وضعت طفلتها ليس الأمر مباشر إنما سيسبقه ضغط وتلميح وتعطيل لسير عمله ومطالبة لحوحه بالدين الذى عليه والمستحق دفعه ل-طاهر- بموجب شيكات ووصولات أمانة قد وقْع عليها اشتعلت النار داخل - نوال- خوفًا من حدوث الحمل الثانى، ولولا خوفه من ردود أفعال أخوتها لفعل.هكذا كانت تعتقد -أحلام- ولكنه يتحين أى خلاف يبنى عليه جسر الفرقة

والخصام ليتم بذلك بدايه انهيار عشهُم حتى عندما كتب لها البيت أعتقدت أنه يبيت لشيئ ما اعتقدت بعد أن حازت على البيت أن يكن طلاقها فيه نسبة انتصار مادى لها أو كان يرمى إلى تأمين مستقبل الطفل،هكذا كانت تُخمِن، وتُفسِر، وتتوقع ما يمكن أن يحدث هل كان مجبور على طلاقها إرضاء لزوجته -نوال- وعائلتها الذين كان لهم الفضل فى تأسسيه ماديًا واجتماعيًا؟ كان اتفاقهم أن يتزوج لينجب ويعتزل زوجته الثانية أيًا كانت ويذهب إليها على فترات متباعدة، ولكن الغيره أكلت - نوال - لا تطيق أن تبقى على عصمتة زوجة أخرى ولولا إجبار والد- نوال- لئن توافق على زواجه من أجل الإنجاب لما وافقت وقد تعذّر هى أن تنجب مرة أخرى بسبب تهتك رحمها عند ولادتها لابنها -نبيل-

كان جلال يفعل ما يفعل وهو غير راض، ولكنه وجد نفسه مكبلاً بقروض وديون ومصنع تصريف إنتاجه يعتمد على والد -نوال- عندما يحل الكساد بالرغم من أن لجلال-أرض شاسعة فى البلد إلا أنه كان يكره أن يبيع منها

لقد كان يريد أن يزيد مساحتها، كان يحاول أن يُحل مشاكله المادية من خلال عمله ومصنعهُ الذى له فيه حق الإداره حتى أنه اكتفى بنسبة حق الإداره أثناء تأسيس المصنع وبحث عن شركاء معه حتى لا يضطر إلى بيع أرض فى البلد.

كان -جلال - على علم بما دار بين -أحلام - وأخوتها، وعلِم أيضًا بالمال المُدخر عند -فتحى - ولكنه لم يفتح لها سيره عن ذلك هل كان مَبيت النيه على الانفصال أم كان يَهاب غضب -أخيها -فتحى- إذا ما أخذ مالها، حتى الآن لم يصدر منها ما يستحق الانفصال

داخل جلال يغلى حنقا على نفسه وعلى -نوال- لقد أحب- أحلام- من أعماقه، وقلبه يعتصر على ابنته التى لم يسكُن حبها قلبه حتى الآن بدرجة كبيرة ولكنه يعِ أنها ابنته يُغالب نفسه بدافع الواجب الذى لا يجب أن يتملص منه تحت ضغط الجاه والمال والطموحات والمستقبل الذى يفتح له ذراعيه بكل أريحية مقابل أن يُرضى سليلة القصور والحياة الأروستقراطية التى عفا عليها الزمن

ومن أجل أن يُرضى طموحه وطمعُه فى تحقيق ما يصبوا إليه فى أقصر وقت ممكن.

قد لا يعرف الإنسان أين تكمُن سعادته ويبحث عن بدائل وهو يملك مقاليدها بيده، ولكن غشاوة التسرع وحُب الوصول السهل السريع والخوف من المجاذفة تلك مفردات تحب السعادة القريبة التى لا يجب أن تكن هى السعاده الحقيقية فهى السعادة المستلبة بمساعدة الآخرين لتكن تلك السعاده قيد مكبل به من أن تستمر لا بد أن ينحنى ويتنازل ليُرضى من جلبها له والشئ من أصله غير مستغرب! فقد كان والده يعشق الأرض ويحيا من أجل أكثرها عنده وتراكم السهم على السهم غايته

***

-١٠-

وما لم يكُن فى الحُسبان أن يتعكر البحر الجارى بين عائلتى -جلال -وأحلام- وتتأزم بينهم الأمور وتصعد على السطح عداوه مستحدثة وليدة مواقف وأخطاء وسوء فهم لدى الطرفان وتسرُع فى تطور الأحداث لدرجة المقاومة بالأيدى والاعتداء بالسلاح

وقد نشبت العركه بين شباب العائلتين عائلة -جلال- وعائلة الحاج مدبولى كانت بسبب أغراق الأرض وفساد المحصول واتهامات متبادلة ووقوع أحد أبناء -فخرى- أخوا -جلال- بين الحياه والموت هرول -جلال- عائدًا إلى القرية وقف بجوار أخيه حتى استقرت حالة ابنه

حاول فخرى تهدِئة -جلال- حتى لا يتسرع ويغضب ويفعل شىء يفسد استمرار علاقته بزوجته فهى عمة لأبناء -فتحى- الذى وقع بينهم العراك ويخسر عائلة زوجته وبحكم أن -فخرى هو الأكبر فقد حاول التنازل من أجل إرضاء جلال بحكم المُصاهرة التى بينه وبين عائلة الحاج مدبولى، ولكن جلال أصر على أن يأخذ التحقيق مجراه وقدَّم التقرير الطبى للنيابة وأصبح القضاء هو الفيصل بينهم

عـاد – جـلال – مـن القرية وقد شـبك خيـوط القضية، هل لتنشـب الخلافـات بـين العائلتـين ؟ أم رمـى إلى اسـتفزاز –أحـلام– لتأخذهـا الحميـة عـلى ذويهـا ويـدب الخـلاف الـذى يجعلـه يطلقهـا فى لحظـات غضـب مفتعلـة ! فهـو لا يعنيـه ابـن أخـوه فى شـىء أن عـاش أو مـات فقـد مرت سـنين وهـو لم يقابلـه ولا يسـأل عنه مـن الأسـاس وقتما كان منهمـكاً فى عملـه الجديـد ولا يعـود إلى البلـد إلا سـاعات ويعـود! وما زاد تـردد –جـلال– للبلـد؟! إلا عندمـا زادت مسـاحة أرضـه واسـتقر العمـل بالمصنـع وعلمـت –أحلام–بـما حـدث لابـن أخيهـا وهـو الآن محتجـز رهـن التحقيـق وقـد يأخذ عقوبـة بالحبس قـد تصل لعـام وأكثر وجـاء عـلى غـير موعد جـاء ليقرعهـا ويؤنبها عـلى مـا اقترفه ابنـا أخيها كان مثـل ثـور طائـش لا يـدرى أو يعقـل مـا يقولـه، ولكنهـا حاولـت قـدر طاقتهـا أن تتلاشـى بـدور أى خطـأ مِنهـا تركتـه يسـب ويشـتم فى أبنـاء أخيهـا وينعتهـم بالسـفله وعُدمـاء الأدب وطفـق يتوعدهـم بـرد قـاس عندمـا يطمئِـن عـلى نجـاة – يونـس – ابـن أخيـه من أثـر الضربة التـى تلقاها على رأسـه بالنبـوت اسـتمر فى انفعاله وتوبيخـه إلى أن قال: كانـت غلطـة عمـرى عندمـا ارتبـط بعائلـة واطية مثـل تلـك العائلة

فقالـت لـه بصـوت عـالى وجهـرت بـلا خـوف ولا تـردد متناسـية الخـوف والقلـق والحـرص عـلى عـدم إغضابه قالت لـه : اخـرس! قطْع لسانك !

ثم قالت مهددة : إن كنت من يصمم على حبس ابن أخى فلتطلَّقنى

كانت أول مره ترفع صوتها عليه، وأول مرة ترد عليه وعلى انفعاله

فقال لها أنت طالق!!

قالها بالإدراك، قالها تحت تأثير الغضب والاندفاع،

وكأنه كان ينتظر ويترقب منها ذلك فقد كان أشبه ببالون ممتلىء وأفرغ ما فيه أثر ثقب تمْ ثُقبه لتوه وبدلاً من أن يحتفل بعيد ميلاد ابنته بعد أيام ستُخط وثيقة الطلاق!.

أخذته الحميَّه القبلية وأنساه ذلك أن ينظر إلى طفلته التى تبكى وتصرُخ على أثر صوته العالى أتقن الدور ونفذه كما أرادت -نوال- ووالدها، ولكن هل أراد أن يُصعد الأمور إلى أن تصل للطلاق، أم أن الحوار أخذت نتائجه ردود افعاله كما تمخض عنها الموقف وعدم تنازل أحدهما ليمر الموقف بلا صدامات.وان الأمر كان عفوياً وليد الموقف والحدث دون تدبير مُسبق لما حدث منه

ستفقد الطفلة الدفىء الأسرى وستفقد -أحلام- لقب الزوجة وسيكتسب هو حريته من الضغط المُلقى على عاتقه ما بين رضا -نوال- وعائلتها، وبين سير مستقبله بخطى ثابتة إلى النجاح الذى يصبوا إليه علاوة على الديون التى تكبلها والشيكات التى عليه سدادها فى حوزه -طاهر- والذى يُصر على تسديدها من أرباح المصنع وإيراد الأرض

انتاب أحلام شعور مُركب ما بين السخط على عائلتها فى البلد فلولا تحيزها لهم والدفاع عنهم باستماته على ما حدث بينهم من خلاف، والسخط على زوجها الذى أنتهز خطأ فى لحظات غضب يجب ألا تُحاسب عليه فقد أخطأ فى حق عائلتها وقذفهم بما هو أسوأ، أم أنها كونها امرأة لا تملك صلاحيات لتعاقبه

أما هو فعاقبها بفك أقدس ارتباط من أجل أنه عجز عن كظم غيظه، أو كان يجب أن يترك باب التسامح موارب، ولكنه استفزها لتخطىء، ويتم الطلاق بسبب مقنع يمنعه انتقام اخوانها الكبار

هم يحاصرون أرضه من كل الجهات علاوه على عائلة مدبولى كبيرة جدًا كعدد أفراد؛ لذلك اتجه -جلال - للقضاء لاستمرار المشاكل بين العائلتين لينال ما يريد، هذا ما هو ظاهر أو لعلّه اتجه للقضاء ليبتر أى تفكير فى إعادة العِراك مرة أخرى ليكبح جماح أى تصرف فردى يوقع العائلتين فى دم وثأر لا ينتهى ولا يُحمد عواقبه بعد أن هدأت ثورته ذهبت هى إلى غرفة نومها

تكفكف الدمع وتنتحب فى حسرة وتهدج وانتكاسة جلس هو على الكنبه، أشعل سيجارة، ثم ألقى بها تحت قدمه وضع رأسه بين كفيه وانهمرت الدموع منه آليًّا

يشعر أنه على شفير الهاوية، انتابه شعور بالتعاسة القائمة بعدما ذاق معنى السعادة مع -أحلام - وإن كان دائمًا يُظهر لها عكس ذلك كان ينفس عن تعاسته وكبته والضجر الذى يعانيه مع -نوال- بسويعات جميلة يجد فيها شخصيته المفتقدة التى يشتاق إليها وينعم بها ولا يجدها إلا فى كنف -أحلام- شخصية الرجل صاحب الكلمة فى بيته الآمر الناهى فى كل شىء الذى يجد ما يريد دون أن يطلب! وبفرحة وحبور من الطرف الآخر بلا ضجر وتذمر.

***

-١١-

كانت بدايه تعارف -جلال- بزوجته الأولى -نوال- كانوا بالجامعه آنذاك، كان لهما أحلام وآمال، وكان بينهم الطموح قاسم مشترك، كانت ابنة وحيدة لوالدها صاحب منصِب كبير فى أحد الوزارت، وكان يُشار له بالبنان قبل الزواج كانت تتخلق بكل ما يُعجب -جلال- وصار مبهورًا بها

كانت بضه نضِرة ممشوقة القوام بعيون نجلاء خضراء خُضرة الزروع أظهرت من لين الجانب والحديث المدهون حتى رفعها -جلال -داخله لأعلى الدرجات ولكنهُ لم يشعر أن حبهُ لها حب حقيقى بقدر ما هو استلطاف وحسب لم يُمانع - طاهر - بيه والدها وقد علم ما لـ -جلال- من أرض ستؤول له فيما بعد، ويملك بيت بالقاهره سيؤول إليه بعد وفاة والده

وكان ذلك من المغريات التى دفعت -طاهر - إلى قبول -جلال- زوجًا لابنته، فقد كان -طاهر مغترًا بمنصبه أثناء فترة الخطوبة مات والد -جلال - وعرف -جلال -نصيبه وأصبح مسئولاً وصاحب أرض هو مالكها، ودفع لأخيه - فخرى وأخته شريفه- نصيبهم من بيت القاهرة وأصبح البيت له عرض عليه -جلال- أن يدخل شريك فى مصنع بنسبة تمكنه من حق الإدارة

وبالفعل حصل -جلال- على قطعة أرض مناسبة المساحة، تم زواجهم قبل الانتهاء من تجهيز المصنع، طلب وقتئذ والد -نوال- طلبات مبالغ فيها ولكن -جلال- لم ينثنى ولم يدفع إلا من قنع بلزوم دفعه

أراد -طاهر إقامة الزفاف فى فندق خمس نجوم واكتفى -جلال- أن يقام فى قاعة أفراح عادية مما دفع -طاهر- إلى تحمل مصروفات الزفاف فى فُندق خمس نجوم كان يريد التفاخر والتباهى، وكان لسان حال جلال يقول من يريد أن يتفاخر فليتفاخر من جيبه، وهذا لم يمنع جلال من أن يعطيه تكاليف الإقامة فى القاعة العادية وتحمل طاهر بفرق كبير دفعه وهو حانق على -جلال- لم يفرط -جلال- فى شبر من الأرض، ولكنه باع نصيبه من العقارات التى آلت له من الميراث الذى تركه والده واقترض الباقى من -طاهر -والد -نوال-

استطاع -طاهر- أن يشترى آلات وومعدات مصنع تم تصفية نشاطه ووقف وتعطل الإنتاج صاحبه كان سيبنى على الأرض عمارة وبرج، كانت الآلات تعمل وبحالة جيدة واستعان-جلال- بأغلب عمال وفنيين هذا المصنع، ولكنه اشترى آلات تغليف وتعبئة جديدة وآلات تقشير فاكهة فقد طمح -جلال- إلى تنوع الإنتاج لأكثر من منتج.علم -جلال- أن طاهر قد حصل على مبلغ كبير من صاحب المصنع كعمولة كونه كان وسيط، ولا ينكر من لديه أدنى فكرة عن التجارة أن العمولة نتجت عن ارتفاع سعر البيع، ولكن -جلال- ادّعى جهل أى شىء عن ذلك وتعامى، فهو مازال فى حاجة دائمة لعون -طاهر- لمساعدته فى استخراج تراخيص المصنع .

بعد الزواج بدأت الأقنعة تُرفع آليًّا والرتوش تُزال وظهرت نوال بحقيقتها وطبيعتها التى نشأت عليها شخصية متكبرة متسلطة مزهوّة بنفسها لأبعد الحدود نظرتها لمن حولها نظرة دونية بها غيره مُستعر لهيبها، وحقد على كل من تشعر أنه يتميزعنها فى شى ء تعتقد نفسها أنها بؤرة أو مركز والكل يدور حولها، كان -جلال- قد وقّع على إيصالات أمانة بقروض -طاهر- وتعرّض المصنع لأكثر من خسارة ويضطر -جلال- الاقتراض من -طاهر -

وبشّرت -نوال- -جلال- بحملها فرح ولما وضعت نوال- مرت أوقات عصيبة اضطر الأطباء إلى التخلص من الرحم بعد الولادة فبعد ابنهم- نبيل ضاع أمل أن تُنجب مرة أخرى كبر ابنهم -نبيل - ولكن كانت نوبات الصرع واضطرابات نفسيه وفقدان الوعى لبعض الوقت، كانت تواتيه على فترات ولكنها على فترات متباعدة، بدأ جلال يقف بالمصنع على قدميه، ولم يتبقى على ديونه إلا مبلغ ليس بالكبير بالنسبة لما سدده ونجح فى إبقاء الأرض كما هى لم ينقص منها شيىء، وهذا كان شغله الشاغل وهدفه المستقبلى أن كل أرباحه فيما بعد سيشترى بها أرض عندما أراد -جلال- الزواج مرة أخرى كان قرار فردى تحت ضغط داخلى لم يقوَ على مجابهته، لقد رأى-جلال-أن نوال- قد يأس من أن تحمِل مرة أخرى، وابنه الوحيد مريض بيد أنه لا يشعر بسعاده مُقنعة مع- نوال- فقال لنفسه: لما لا أتزوج؟! لأنجب من ينفعنى فى كبرى ويرعى -نبيل- فيما بعد، كان قرار مصيرى لابد منه مهما كانت تبعاته أغمض عينيه عن -نوال- ووالدها.تجاهلهما ألقى بمصير علاقته ومستقبله المهنى قيد

انتظار ردود أفعالهما وما سيترتب عليها أعلن من داخله التمرد والعصيان إذا ما وقفا عائقًا أمام تحقيق رغبته فى ذلك الزواج الذى سيحقق رغبته فى الإنجاب ويهتدى إلى مكمن السعادة التى يفتقدها فقد نفر من حياته الرتيبة، ونوى أن يهد المعبد على الجميع إذا ما اتخذوا ضده أى موقف عدوانى

بات لا يلوى على شىء، ولكنهم التزموا الصمت والتروى، كان قرار قاسٍ على -نوال- وهى ممزوجة بالغيرة على -جلال- لم تعلم به إلا عندما فاجأها بنفسه فى لحظات مصارحة كان لابد منها لحظات مصارحة كانت مزيّلة بتبريراته لما فعل ذالك؟

كان قرار زواجه من مسقط رأسه فيه قراءه للمستقبل وكان يهيىء لنفسه فيما بعد ما يصبوا إليه أن يستقر فى القريه ويصفًى أعماله إن لم يُرزق بولد فمن يسير أعماله بدلاً منه وهو يعلم أن مرض ابنه -نبيل- لن يمكنه أن يفعل ذلك إذا ما تضاعفت خطورة حالته فى المستقبل فهو على وضعه شبه طبيعى لاقلق عليه، ولو كفت -نوال- من إيهامه وأشعاره دائمًا أنه مريض لانخرط فى الحياة كأقرانه ولصار حُرًا يخرج وقتما يشاء ولكن -نوال- تفرض عليه حظر ورقابه جعلت ثقته فى نفسه تتضاءل

فعندما ارتبط بأحلام خامره شعور أنها أول زيجاته شتان ما بين -أحلام -و-نوال-

لقد قضى فترة وان كانت بسيطه فى كنف أحلام كانت من أسعد أيام حياته كان سعيد سعادة لا يناهزها وصف كان يشعر معها باكتمال الشىء الناقص لديه كم كان يتمنى أن يكمل حياته بجوارها ويظل يرتوى برضابها ويأنس بجوارها ويستقى تعطشه للأرض

التـى يعشـقها بالنظـر اليها فهـى كانت فى نظـره كأرض طاهـره لم تُدنس ولم تبخـل أو تضـن عليـه آوتـه عندمـا لجـأ إليهـا وانتظرته عندمـا غاب عنهـا، وظلـت تغالـب البُعـد والجفـاء الصادر منـه، وهى سـعيدة لمجرد أن اسـمها مرتبـط باسـمه عندمـا اعتـاد الغيـاب عنهـا كفَّت عـن تأنيبه! اكتفـت أن يأتـى ولـو زيـارة عابـرة يتنـاول فيها كـوب شـاى وتأنس به ولينـصرف إذا أراد! ولكـن بعـد أن طلقهـا تجشـم القهـر والكـدر عـن طيـب خاطـر يسـتمتع بعذابـه لنفسـه جـزاءً وفـاق لما فعـل بهـا ؛ لأنه لا يسـتحقها فهـى مـلاك وفقـد أن يظـل هـو صاحبه

ولكـن هـل -جـلال- يعانى من ضغـف فى الشـخصية؟ أم انفصام؟ أم يعتريـه تشـتت وعـدم تركيـز فى تـدارك مـا يحـدث أو يُحاك لـه؟ لابد مـن التطـرق و الانخـراط فى حياه -جـلال- والولـوج إلى أعماقه .

***

-١٢-

لم يكن -جلال- ضعيف الشخصية، إنما كان به انطوائية وتعقّل لا يخطو خطوة إلا بحساب حتى خضوعه لأغلب مطالب نوال ووالدها ليس عن ضعف بقدر ما هو قوة تحمل ممزوجة بفيض من الصبر كانت حياة -جلال- حياة رغدة لينة خالية من أى صعوبات مادية فبحكم ثراء والدهم وامتلاكه لأرض شاسعة وسط قريه أغلب قاطنيها تحيا على الكفاف طبيعته الانطوائية أكسبت شخصيته انعكاس بالرزانة لدى الآخرين

وكان الهدوء والتروى من سجاياه، فبعد أن قُسمت التركة بعد وفاة والده لم يغامر كما فعل أخيه -فخرى -كان قد أنشأ مزرعة «دواجن» وأجدت معه فى البداية، فقام بالشراكة مع أكثر من مزرعة فى وقت واحد وكانت الطامة هى انتشار مرضًا مُعديًا قضى على جميع «الدواجن» بمزرعته والمزارع التى شارك عليها، ولّما كانت التكلفة باهظة اضطر إلى أن يتكبد خسائر دفعته لبيع أرض من أرضه لم يكتفِ ويقنع بما حدث ويكف عن المجاذفة، ولكنه دخل فى دورة «دجاج» جديد بمزرعته ولعدم الكفاءة والتمرس وغياب المهنية التى يحتاجها هذا المشروع فقد-فخرى- أغلب» الدجاج» مرة أخرى أما- جلال-ظل محتفظاً بأرضه

وظـل يُكافـح مـن أجـل توسـيع مسـاحتها رفـض عـرض أخيـه -فخـرى- وقتئـذ أن يدخـل معـه فى أى مـشروع، ولكـن جـلال- رفـض خوفـاً مـن الخسـارة الجسـيمة

كان ابنـه - نبيـل - أغـلى ما عنـده، لذلـك لم يفكـر فى الانفصال عن -نـوال- وإن كان مـن داخلـه يتمنـى ! فهم قـد يمنعوه من رؤيتـه إذا ما حـدث انفصـال ؟ كان كل يـوم يجلس مـع -نبيل - ويرفع مـن معنوياته ويشـعره بوجـوده وإنـه مرغوب فيه ومحـل اهتمام كان يحكـى له ماحدث معـه فى العمـل ومشـاكل العمـل وعندمـا تواتيـه نوبـات الـصرع التـى كانـت عـلى فـترات متباعـدة جـدًا كان يـذرف عليـه الدمـوع ويتملكـه الحُـزن ويغالبـه التفكـير عـلى مسـتقبله إذا مـا واتته المنيـه ! أمـا -نوال - كانـت تتنكـر لمرضه تتعالى وتوبخ مـن يذكر أمامهـا أن -نبيل -مريض-

كان لجـلال- أعـداء فى مجـال العمـل ليـس عـداءً بالمعنـى الحـرفى للكلمـه وإنـما هـو صراع عـلى الأفضليـة والبقـاء فى السـوق واللهـث خلـف الربـح والتقنيـة الجيـدة والترتيـب لـدى المسـتهلك فى المقـام الأول فالمسـتهلك هـو المقِيـم الأول فى السـلع الغذائيـة بالـذات فكلـما نفـذ المنتـج بسرعـه فى السـوق كلـما لاقـى قبـولاَ عنـد النـاس وكان لـه افضليـه التخزيـن منـه عنـد تاجـر التجزئـة أمـا عـداءه فى القريـه كان غـير ظاهـر فمـن حـرض -جـلال- عـلى اللجـوء للقضـاء هو ابـن عم العمـده فالعمـد الحـالى قـد هـرِم !وأبنـاءه موظفـين بوظائـف مرموقـة ولا ينظـرون إلى هـذا المنصـب البائـد الـذى عفـا عليـه الزمـن فـالآن زمـن الهاتـف المحمـول والإنترنـت ووسـائل التواصـل الاجتماعـى المرئـى والمسـموع والمقـروء، ولكـن الرغبـة تختلـف مـن شـخص لأخـر و-حاتـم- ابـن عـم العمـدة الحـالى يسـعى لينـوب عمـه أشـتم

جـلال فى هـذا التحريـض نـوع مـن تعمـد بـذر واسـتفحال الخصـام بـين عائلـة الحـاج مدبـولى وعائلـه -جـلال- اتبـع -حاتـم- مثـل فـرق تسـود، ولكـن -جـلال- أعجبـه الـرأى ليُغلـق بـاب العـراك مـره أخـرى ويخـوِّل القانـون يفصـل فى القضيـة

***

-١٣-

أشتم -جلال- من خلال تحريض حاتم له أنه يريد أن تنشب قطيعة بين تلك العائلتين، فمنذ القدم ونزاع منصب العمدة لا يخرج من تلك العائلات أرض حاتم ليست بالمساحه الكبيرة، فقد توزَّعت أرض والدة على الورثه فتضاءل نصيب كل فرد، أمَّا ما يملكه -جلال- فيساوى أضعاف ما يملكه -حاتم - وبالرغم من أن -جلال لا يفكر من الأساس فى ذلك إلا أن حاتم يتوجس منه خيفة حتى ما تبقى لـ -فخرى- بعد أن باع الكثير أكثر مما يملكه حا تم

لم يكن حُب -جلال- للأرض وحرصه عليها وعلى تزويدها أى تأثير على سلوكه فى الحياه كان سخى الكف معطاءً لذويه أرضه كلها تحت تصرف أخيه وكأنها ملكه يؤجر منها ويزرع ما أراد منها ولكن فى نهايه العام كانوا يسويان حسابات الأرض، مما جعل ل -فخرى - ثقل بين الناس فى القريه وكان يتعمد -جلال- ذلك فمكوث -فخرى- فى القريه بمثابة ظل له أيضاَ فكان يحرص كلما جلس مع أبناء -فخرى -أن لا يبخل عنهم فى النصح والإرشاد والابتعاد عن كل ما يجلب المشكلات، ويوم العركة عنفهم وكاد أن يصفعهم ويتهال عليهم ضربًا، إلا أنه تمالك نفسه ولم يفقد أعصابه بتهور

فى المصنع علاقته ممتازة مع شريكيه الآخران صلاحيات العمل موزعة فى تفاهم وتواؤم وانسجام، فما دام المصنع قى زيادة للأرباح ينم هذا عن نجاح الإداره والربح هو غاية الشركاء

جاءه بالمكتب أحد العملاء صاحب مكتب تصديركان اسمه -حازم- يروج منتجات المصنع بالخارج يحصل على ربحه ويحصل على عموله، ولكن فى الفتره الأخيرة بدأ يماطل فى سداد ثمن المنتج الذى يحصل عليه

جاء يطلب كميات أخرى من المربى والصلصه، قال إنها طلبيه مستعجله من احد العملاء بافريقيا قال لن نلاحق على طلبياتهم فيما بعد يحاول يدهن الحديث ويطليه حتى يقنع -جلال- أن يعطيه ما يريد والسداد على موعد استلام ثمن البضاعه حالما تصل

أعتذر له -جلال- قال له: لن يخرج المصنع بضائع جديده إلا بعدما تأتى بثمن القديم

هذا قرار الشركاء وليس قرار منفرد.

كان- حازم- قد أخبر -جلال- أن ثمن البضائع مازال باقى عند المكتب الرئيسى الذى يتعامل معه مكتبه، فما كان من -جلال- الا أن استعان بمكتب أخر واخبره صاحب المكتب أن أستعلم عن ذلك وجاءه تقرير مفصل بتاريخ وصول الشحنة، وأيضًا تاريخ اصدار الشيك مقابل ثمن البضائع وقيمة الشيك وتبين أنه حصل على أرباح مجزية من تلك الصفقه لم يخبره -جلال- بذلك وفضل الصمت حتى يأتى موعد الحديث الذى يتطلب المواجهة بعد أن يأتى موعد السداد الذى أمهله أيّاه

بعد تلك المواجهه خلال أسبوع جاء المصنع إدارة حماية المستهلك للتفتيش، ولم يؤخذ على المصنع أى مخالفات وأسرها له جلال مع أخذ جانب أنه ليس له ضالع فى أنه من أبلغ الهيئة بوجود مخالفات

إلا أنه فى الموعد المحدد الذى أمهله أيّاه جلال سدد ثمن البضائع وانصرف دون أن يطلب بضائع أخرى، ولكنه نصَّب عداءه -لجلال - وطفقق يُشهِر بالمصنع وبالاهمال وعدم النظافة فى أروقة المصنع وبالمعمل لم يكن -حازم- الوحيد الذى كان معه خلاف مادى، بل يوجد الكثير وهذا حال التجارة ولكنه الوحيد الذى فعل ما فعل

أسف جلال فى قرارته أنه خسر -حازم- ولكن تحت ضغط الشُركاء وتعمده عدم الانفراد بالقرار ورضخ لقرار المجموع وتنحى عن اعتزامه منحه فرصة أخرى أراد أن يتحمل هو التعهد بذلك إلا أنه خمن أن الأيام قد تزج بنفس تلك الحالات فلا يقوى على أن يعرض نفسه للانحياز لعميل دون آخر فكان مبدأ إرجاع القرار لأغلبية الشركاء له دور كبير فى إنجاج المصنع ولم يكف -جلال- عن استرضاء -حازم-.بل ذهب إليه وقدَّم له اعتذاره فهو مروج نشط ومكتبه بدأ يأخذ صيت طيب فى السوق وعاد -حازم-مرة أخرى للتعامل مع المصنع، ولَّما قصَّ -جلال- عليه أمر التفتيش الذى جاء فجأة بعد الموقف أقسم أنه لا يعرف شىء عن ذلك وكان سوء الظن سبق نحوه قد سبق كل احتمال، ولكنه أبرأ ذمته وتأسف له -جلال-

لم -يشعر- جلال بما فعله مع -أحلام كان فى لحظة غليان ومسكون بالحمية والغيرة على منظر عائلته وهم منهزمين، أحد أبناءهم بين الحياة والموت كان حواره مع أحلام وهو غاضب

سبب فى انفصالهما وبالرغم من أنه متعقل إلا أنه صب جم غضبه فى أحلام، وبالرغم من أن لجوءه للشرطه كان فيه كبح جماح استعارة نار العراك إلا أنه كلما تذكر منظر ابن أخيه يستشيط غضبًا كان حواره معها من الاساس كان من الأهميه بزمان أن يؤجل أو يُرجى لوقت آخر شكَت أحلام أنه استغل خلاف عائليتهما ذريعه ليتم الانفصال.إلا أنه فى قرارة نفسه ندم أن تحدث معها، قال لنفسه» ما كان ينبغى أن أقحمها فيما ليس لها يد فيه»، ولكن انحيازها لابن أخيها وتهديدها له أن تنفصل وشتمها له عندما قالت «قطْع لسانك»هذا ماجرح كبرياءه، وبالرغم من أنه بدأها بشتيمة أهلها إلا أننا فى مجتمع يبيح للرجل شتم زوجته ولا يخول للمرأة الرد بالمثل، أو أن تدافع عن نفسها، أو أن تأن لمجرد الاعتراض اللإرادى بالفتطرة

***

-١٤-

قررت أن لا تبرح بيتها لن تعود إلى القرية ولن تعود إلى الجو الذى تخيلته مشحون بالشماتة والتشفى من إخوانها ونساء إخوانها، هكذا تخيلت، هكذا تراهم لها كارهين دون أى دليل أو أدنى موقف يبرهن على ذلك الاتهام

فى داخلها تحاول أن تبرر دفاع -جلال- المستميت ومهاجمته لعائلتها على أنه شىء فطرى خارج أرادته، ولكن فى قرارة نفسها تشعر أنه وجد ضالته فى هذه العركه بين العائلتين التى جعلته. أنها مشتته لا تعرف إن كانت تمقته وتؤل كل تصرفاته على أنها بتخطيط ونية مسبقة أم أن ما حدث مجرد وليد للمواقف التى حدثت وأنه معذور ويُرفع عنه الحرج إذا ما ساند عائلته وانحاز لصف عائلته، ولم يختلق الخلاف الذى أودى إلى انفصالهم

نامت تكفكف الدمع نامت مسكونة بأحزانها وجرحها الذى يدمى راجعت نفسها وهى تناقش أفكارها مع نفسها، رأت أنها لاغنى لها عن أخوانها، تيقنت انهم من سيقفوا معها ضده ليستنقذوامن بين أيديه حقها ونفقتها ونفقة -حبيبه- تذكرت البيت الذى تقطنه الآن صار باسمها، قالت لنفسها: لما كتب البيت باسمى؟ هى فى حيرة فى تشتت، فى شبه ضياع! مستقبل بُهتت معالمة

وليل لا يُبشر بفجر نهضت من نومتها مسرعة لتُخفى عقد البيت فى مكان لا يعرفه - جلال - خوفًا من أن يأتى ويأخذه

وعلى ذِكر اخوتها داخلها فقد جالوا جميعًا فى خاطرها، طُرق الباب استبعدت أن يكون -جلال- جاء ليجمع حاجياته، نظرت من العين السحرية كان الطارق أخيها- فتحى- فتحت مسرعة وانهمرت الدموع وبلا وعى ارتمت فى حُضنه وطفقت تشهق وتنوح ترجل بها وتأبطها ممسكا رأسها بيده الاخرى، أجلسها وذهب إلى المطبخ جلب زجاجة مياه طلب منها أن تشرب وترجاها أن تكف عن البكاء سمع منها كل ماحدث ربط الأحداث ببعضها وتأكد - فتحى -أن جلال- وراء رفع أمر العركة إلى القضاء بدلاً من الجلسة العُرفية طلب فتحى منها أن تعود معه إلى البلد، رفضت وقالت لن أترك بيتى، ولكنه قال لها ربما يطردك قالت أن البيت باسمى! وطلبت منه أن يحفظ لها عقد البيت معه أصر- فتحى -على أن يأخذها معه ترجته ولكنه أبى خوفا عليها من الوحدة ومن خطر الحياة بلا رجل فى مدينة شاسعة مترامية الأطراف، وهى لا تعرف شىء فقد كان يأتى لها بطلباتها دفعة واحدة، وأعانها بشغالة، ولكنها الآن لن تقوى على دفع أجر الشغالة فهى لا تعرف مقدار النفقة التى سيدفعها

كانت لا تنظر إلى مالها الخاص بإرثها، فهى كانت تتركه يتراكم وينمو خوفاً من تقلبات الزمن اعتقادها أن الأخ غير الشقيق ليس بالسند مثل الأخ الشقيق بالرغم من كل الحب الذى أظهره لها فتحى وأخوانه إلا أنها لا تلوى عليهم فى كل شىء هذا ما كان مترسب فى طويتها التى تصلها كل الأحداث والمواقف التى وقفوا فيها بجوارها

بـلا كلـل أو تملـق قالـت لـه يوجد شـغالة معـى سـتعمل وتبيـت معى، تحـاول بـكل الطـرق أثنـاء فتحـى عن قـراره هـى لم ترغـب فى تحديه كما فعلـت مـن قبـل، تحـاول أن تقنعـه بشـتى الطـرق، ولكنـه قال لهـا تعالى معـى البلـد غـيرى جـو شـهر أو اثنين ثم عـودى انثنـت لرغبتـه وأبدت الموافقـة فى الصبـاح ذهـب إلى جـلال فى المصنـع بمجـرد رؤيـة جلال له ارتعـد خائفًـا من رد فعـل -فتحى- هو يعلـم أنه رجل فـظ غليظ الطبع لا يقـف عـلى أحد وقـد يهينه أمـام العـمال والموظفين انفرد بـه فى المكتب

فى حنق قال فتحى مادخل زوجتك فيما جرى بالبلد-

-المـرأة التـى لا تحترمنـى وتتطـاول على بالسـب والقـذف لا تصلح لى زوجة

قـال فتحـى بتهديـد واضـح :على المكشـوف أنـت اسـتغليت العركة لتطليـق -أحـلام- وقـال: اليـوم حتى أخـر النهـار والآن مـازال صُبح وبدايـة اليـوم أمامـك حـلان ! إمـا أن تُرجـع زوجتـك وترجـع لبيتـك وبنتـك، وإمـا أن تطلـب مـن أخـوك أن يتنـازل ويـرضى بالصُلح

رفع -جلال - صوته وقال فى مكتبى وتهددنى؟!

وقـف فتحى وقـال انا عند أحـلام منتظـر اتصال تليفـون منك بأحد الحلـين، ولن أكـرر كلامى قالهـا بصوت آمـر واثق من التنفيـذ القهرى

وأمسـك -فتحـى بعصـاه العوجـاء ووضـع يـده اليـسرى خلـف ظهـره ومشـى الهوينـى نحـو البـاب متأهبًـا للخـروج ثـم توقـف ونظـر إلى -جلال-وقـد عقـف سـبّابته وقـال إن اخـترت التنـازل ! حـق أحـلام- مـن مؤخـر ونفقـه وتضـع فى ذهنـك إحضـار شـغالة تخدمهـا بمعنـى أن ترفـع النفقـة وقـد أعـذر مـن أنـذر

فى يدى أجعل أرضك لا تسوى ولكن ولا لا داعى !

استشـاط -جـلال- غضبـاً كان ينـوى التمهل بعـض الوقت ليذوب الجليـد ويذهـب ليسـترضيها، ولكـن يبـدوا أن مجيـى -فتحـى وتهديده -لجـلال- بمثابـة الممـر الفعلى لإنهاء العلاقـه مع- أحـلام- نهائيًّا مازال -جـلال- فى هالـة الغضـب والحمِيـة القبليـة تسـيطر عـلى ردود أفعالـه رأى أن -فتحـى- يهـدده مـن منطلـق اسـتعراض القوة حرب نفسـية لما بينهـم مـن خلافات عائليـة مازالـت طاحنـة تخللها اعتـداءات وضرب بالهـراوات واسـتعمال الطلـق النارى.خلافـات مشـتعلة متأججـة عـلى الغـيره وعـلى الانتماء والخوف من نظـرات الناس إزاء ما يحدث وتسـليم الطرفـان آذانهـم للنـاس محاوله ارضـاء النـاس واسـتخدام الطرفان جم قوتهـم ومالهـم وأنفسـهم ليظهر كُلا منهـم أنه الطرف الأقوى والمُسـيطر عـلى الموقـف الجميـع داخلـه الخوف فـما دُمـت تزيـد التسـلح فداخلك خـوف ينتابـك ومـا دُمت تحـترس وتزيـد الخفـر فداخلك أيضًـا خوف وعـدم ثقـه بالنفـس ومـا دُمت تسـب خصمك وتنعتـه بالسـوء فى غيابه فهـو يمثـل قـوة جائحة ضـدك فى أى وقـت تترقيبهـا وتهابها

يعـرف فتحـى أيـن تكمـن نقـاط ضعفـه ودار حولهـا ليبلـغ هدفـه، ومـع ذلـك -فتحـى- كان موجـوع قلبـه لطـلاق -أحـلام- وحمـد الله فى داخلـه أنـه وقتئـذ كان يرفضـه ولكـن -أحـلام- تشبسـت بـه وقتئذ خـاف أن يُـصر عـلى رفضـه فيتركهـا قطـار الـزواج وتلازمها العنوسـة وقـد رفضـت جميـع مـن تقـدم لهـا مـن قبـل وتوقـف الخُطـاب عامـان وأكثـر حتـى جـاء جـلال وطلبهـا

بعـد الأصيـل وهـو يجلـس مـع أحـلام رن التليفـون، قامـت أحلام لـترد ولكـن فتحـى اسـتوقفها وقـال «إنـه ينتظـر تلـك المكالمة».

قال فتحى أهلاً دون ذكر اسم المتصل، أخبره أن أخيه سيتنازل عن القضية وعن المحضر وسيقبل بالصلح على الورق فى المحكمه دون المطالبة بأى تعويض

فى الصباح عادت -أحلام- مع فتحى- تحمل بين يديها ابنتها حبيبه - وفى داخلها خيبه أمل لا حد لها ولا وصف هى تشعر أن الجميع يلوك سيرتها كلما جاءتها مواسية وتسأل بتطفل عن سبب الطلاق، لقد كررت حوارها الأخير مع جلال- لكل من زارها ليخفف عنها ويأخذ بيدها ورد الجميع متشابه بعد أن تنتهى من سرد الحوار يكن الرد هو كان متلكك أو ما صدق.

هل إنت غير جميلة؟

هل إنت مش قد المقام ماعنده عندكم منه؟

منهُ لله!.

ربنا على الظالم!

أنت من اخترتى وتركتى من هم أفضل منه! جمل وكلمات مكررة سمعتها أحلام وكانت مضطرة أن تتحمل الأسئلة ولا تبخل فى الردود من باب اللياقة وتقدير لكل من تجشمت عناء المجيىء للمواساة والنية متروكة وعلمها عند الله إن كانت من جاءت تواسى جاءت مسكونة بحزنها على -أحلام- أم جاءت شامتة تتحرى الجديد لتُعيد نشره

بدأت -أحلام- تشعر أن الجميع فى بيت أخوانها يُحبها ويخاف عليها دن غرض أو شرط عرِفت أنها كثيرًا ما كانت تنساق خلف وساوس الشيطان الذى كان يزرع فى قلبها العداوة من الجميع

وجدت فيهم العوض فى العزوة والحب والونس والحنان بعد العِدة بدأ الخطَّاب تدق بابها، ولكنها أغلقت باب الزواج من جديد وألقت بالمفتاح فى غور سحيق صار كل همها وشُغلها الشاغل فى -حبيبة-

وبدأت -أحلام- تُلح على فتحى أن يسمح لها بالعودة إلى بيتها قال لها لن أُمانع الآن ولكن تمهلى شهر آخر

قالت له -أحلام- بضيق وعتاب شهر تانى !

قالها ستفتح الجامعات وسيذهب -يونس- معك ليسكن معكِ هو ابن أخوك! ومثل ابنك ولن تضيقى به سِعدت -أحلام بهذا الاقتراح فقد كانت متخوفة من سكنتها بمفردها، وبالرغم من أن -جلال- كان يتركها بمفردها أغلب الوقت إلا أنه بمجرد طلاقها شعرت بالخوف انسلخ الأمان بطلاقها، وحلَّ محله الخوف والهلع وترقُّب الشر فى أى لحظة

قال لها - فتحى - لن أفرض عليك سُكنى -يونس ولكن سيعينك على مواجهة أيامك الأولى بعد الطلاق وبعد أن ينتهى العام الدراسى ستكونى قد تأقلمتى واعتدتى الحياة بدون زوجك الذى لا يستحق قلامة ظافرك الأصغر تضرج وجهها احمرارًا من إطراء فتحى - وتيقنت أن فتحى - أكبر ظل يُحتمىَ بظله فى حر القيظ القاتل عاتبت نفسها عتاب عسير، كيف أنها كانت تميل إلى أخيها فهمى أكثر واغترت بكلام -فهمى - المعسول؟! ولكنه لا يحمل قلب فتحى حتى عندما سلَّمت فهمى الأرض

كان إيرادها ضئيل بالنسبة لما كان يُعلمها إيّاه - فتحى والآن تفكر فى إرجاع الأرض لفتحى ولا تعرف من أين تبدأ الكلام مع فهمى - فأسرت إلى - فتحى نيتها فى أن يتولى هو الأرض ولكنها تخشى من أن تجرح- فهمى- وحزنه لذالك الامر أبتسم -فتحى- وقال لها: هو شكى من الأرض ويريد أن يخلع يده منها، وكان ينتظرنى أن أُبلغك وقبل أن يكمل حديثه أستغلت اللحظه و قالت له الأرض معك انت كما كانت أراد أن يتملص ترجته قال لها سأنهى الأمر مع فهمى بناء على طلبه هو لا طلبك انت ! قال لها أعرف أن موضوع ارضك لن يصلح مع - فهمى - طويلا فهو ضيق الصدر سريع الغضب، ولكنه سريع فى كسب القلوب فهو حلو الكلام

***

-١٥-

كلما جاء احد من اجل أن يخطب- أحلام- كانت ترفض أن تناقش موضوع الزواج من الأساس حاول -فتحى- أن يُقنعها بالزواج لصِغر سنها وقال لها: أن أبنتك لن تعيق زواجك. ولو اضطر أن يأخذها عنده لكنها أبت وأعرضت عن تلك الفكره البته.

كان -جلال يُرسل لها نفقتها هى و-حبيبه- خلال الشهرين الماضيين عن طريق أخيه بلا محاكم وفى الشهر الثانى جاء اخيه وهو يحضر النفقه طالباً من فتحى أن يُعطيه -حبيبه-ليراها والدها -جلال- يبدوا أنه أراد أن يُسكت الأصوات الخفية التى تلومه وتلوك سيرته على عدم مجيئه ليرى ابنته رفضت -أحلام-! ولكن فتحى طلب منها أن تسمح له برؤية ابنته فلم تثنى كلمته

عندما حمَل -حبيبه- طفق يتفحصها وكأنهُ يُريد أن يحفظ شكلها لا أن يروى اشتياقه لها فقلَّما كان يراها بل إنه لم يحملها أو يهدهدها كما يفعل الآباء مع أطفالهم منذ فترةٍ طويلة كم كان يتمنى لو كانت ولد هكذا كان يحدث نفسه وذالك لا يقلل من حُبه لها ولكن مساحة فكره فى أحلام طغت على كل شىء حتى على ابنته »بالت» الطفله فقفز مسرِعًا تلقفتها منه ابنة أخيه زاد صراخ -حبيبه- وبدأت نجاة

ابنـة أخيـه تهدهدهـا وتربـت عـلى ظهرهـا فى حنـو وضمْتها إليهـا حتى كفـت عن البـكاء ومـع بدايه دراسـة الجامعات عـادت -أحـلام ومعها ابـن أخيها-يونـس- وصاحبهـم أخيهـا -فريد- الـذى قـام بتوصيلهم والاطمئنـان عليهـم ومكـث عندهـا ثلاثـة أيام قـام بجولـه مكوكية زار فيهـا الأوليـاء وصـلى فى مسـجد الحسـين وتسـوّق وبحـث عـن بـذور جيـدة للطماطـم وبعـض الخضروات.

بدأت -أحلام -تتناغم مع الأيام والوِحدة ووحشة ما بعد الطلاق.

ويونـس يأتـى مـن الجامعة يمـلا البيت نـورًا ويبعث فى سـباته الحياة يبحـث عن شـىء ليأكلـه حالما تجهـز هـى الغـداء كان يُشـعر عمته بجو أُسرى وهـو يقـول (ميـت من الجـوع) بمُجـرد أن تطأ قدمه بـاب البيت فيفتـح نِفـس -أحـلام - للطعـام وتنهض مسرعـة لتجهيز الطعـام، كان يطلـب منهـا أن يقوم بإحضـار البقالة وما تحتاجه، ولكنهـا كانت ترفض قالـت إنهـا فى حاجـه لأن تخـرج وتستكشـف العـالم الجديـد بالنسـبة لها ولـن يسـاعدها إلا طلبـات البيت التـى تحتاجهـا فالحاجـه أم الاختراع، والحاجـة هى التى سـتدفعها إلى السـؤال والاستكشـاف

كانـت دوافـع إصرار -أحـلام- لان تعـش بالقاهـره فى بيتهـا فى بـادىء أمـر طلاقهـا متعـددة ، لتكـن قريبـه مـن -جلال-لعـل قُربهـا منـه يدفـعُ لان يعيـد الميـاه لمجاريهـا وكانـت مسـتعده لأن تعـود إليـه إذا مـا جاءهـا وطلـب ذلـك دون أن يُطيـل غيابـه وتنقلـب المبـاره للمعـب الكرامـه والاعتـذاز بالـذات ورغبـت -أحلام-حيـاة القاهـرة، أو المدينـة دون الريـف وجـدت أنهـا سـتكن ملكـه فى مملكتهـا المُغلقـة عليهـا لـو يكـن لهـا رعايـا إلا أنهـا سـتتخلص مـن الوِّصايـا والتحكـمات وانهيـال المواعـظ مـن كل مـن هـب ودب.

حسبت إيراد الأرض ونفقتها وجدته مبلغ لابأس به ستعيش منه فى رغد وهناء دون عوز أو حاجه لاحد.علاوه على مُدخراتها التى سلَّمها لها -فتحى - مازالت كما هى لم تَمس بعد.

يمر الشهر بعد الآخر وأحلام على نظام ثابت لم يثنى عزيمتها شىء فى أن تبقى بمفردها فى قرارة نفسها تعلم أن إبن اخيها بمجرد أنتهاء العام الدراسى سيُهرول مسرعا إلى القريه.وستبقى هى مع ابنتها - حبيبه بمفردهما وستلجأ لجلب الشغالة مرة أخرى

-حبيبه- بدأت خطواتها الأولى! فرِحت -أحلام للغاية قالت مُحدِثة نفسها أن خطواتها ستملأ البيت وتُحييه وكلماتها التى بدأت ب-- بب با.با ستشُق السكون المفروض والمُسيطر على أجواء البيت وسيتردد صداها حتى يتلاشى بها بكمْ الأجواءالجاثِم على قلبها لم يبخل فتحى عليها بشىء كان كل شهر يرسل لابنه - يونس- أن يعود للبيت يمكث يومًا واحد، يرى فيه أمه وأخوته ثم يعود حامل معه خير الريف العامر بالسمن والجُبن والقشده والُذبده، حتى الفطير المشلتت و الملوخية اليابسة يحملها معه.

وبعد أن أنهى- يونس- عامه الدراسى مكث أسبوع، ولكنه مل من الفراغ وشُعر بالخمول سيتملك منه، فاقترح على عمته أن يذهبوا لقضاء بعض من الاجازة الصيفية فى البلد، ابتسمت أحلام وقالت له: إنها لم تكن فى الجامعة حتى تستريح من تعب الدراسة وتأخذ أجازة تقضيها فى البلد! طلبت منه أن يعود للبلد بمفرده ويمكث كما يشاء بلا قلق عليها فقد اتفقت مع شغالة عن طريق جارتها ستجلبها من قرية الشغالة التى تعمل لديها ستقيم معها، وبذالك فلن تخشى الوحدة أو الحياة بمفردها

اعتـاد جـلال أن يُرسـل إليها النفقة عـن طريق سـاعى مكتبه لم يُقصر أو يتخـاذل، ولكنـه لم يسـأل عن-حبيبه- ولم يطلب رؤيتهـا، بالرغم من أول كلمـه نطقها لسـانها با با

تأكـدت -أحـلام- مـن شـكها فى أن -جـلال -حـزِن بمجـرد أن تأكـد أن المولـود أنثـى كانـت تغالط ظنهـا وأثبتـت الأيام مـا كانت تظنه تذكـرت طلاقهـا بـلا سـبب مُقنـع إلا شـيئا افتعلـه ليسـتفرها فتقـع فى خطـأ قذفـه وإهانتـه ويجد العُـذر الذى به تـم طلاقها، ولكنهـا لم تلتمس لـه عُـذر انـه كان يدافـع عـن عائلتـه، وعـن ابـن أخيـه تخيـل وقتئـذ أنه لـو مـات ابـن أخيـه كان سـيُفتح بابًـا للـدم والثـأر لا يعلـم عواقبـه إلا الله لم تمتـص غضبـه فتصمـت حتـى يخـرج مكنونـه فـما يطفىء النـار إلا المـاء! مـاذا كانـت سـتفعل لـو لم يخيفـه أخيهـا -فتحـى- وجعلـه يدفع النفقـه بانتظـام كانـت لا تعلـم أن جـلال لا يخـاف -فتحـى- فقط كان يحترمـه لفـارق السـن كان يتعامـل مع -فتحـى - على قـدر فهمه كرجل لم يكمـل تعليمـه فمقيـاس الرجولة عنـده مقياس القـوة والعنفوان ليس مقيـاس الـتروى والتعقـل وموازنـه الأمـور وقياسـها من أكثر مـن اتجاه مـاذا لـو كانت فقيرة حمـدت الله على أن والدها أسـند ظهرهـا أن ترك لها ميراثهـا بـلا مشـاكل ولم يحرمهـا إخوانها منـه بل حافظـوا عليهـا ونموه لهـا ولم يجعلهـا فتحـى تحتـاج لغريـب يقم عـلى رعايتـه وحمـدت الله أنها لازالـت بالبيـت الـذى كتبه باسـمها، ولا تعـرف لما فعل ذلـك ؟! حتى أنـه أعطاهـا عقد البيـت بعـد أن أنجبـت -أحلام-

ماذا كانت خططه وحساباته ؟

هـل اقتنـص البيـت لها من قبـل أن تفـرض عليـه -نـوال- املاءات بعـدم فعـل ذلك ؟

وماذا قال لنوال عن مصير البيت الذى آل لها ؟!

هـل -جلال - يهـاب زوجته الأولى ؟ وإن كان يهابها فكيف اسـتطاع أن يكتـب لهـا البيـت دون أن يرجع إليها ولم يُلقـى لها بال ؟

***

-١٦-

يأتى الليل على أحلام وتخلد الشغاله إلى النوم فى غُرفتها حيث فرشت لها -أحلام- غُرفه بأساس متواضع فى ظلام الليل وسكونه تترائى لها الذكريات صوره -جلال -لاتُبارح خيالها يخال إليها أنهُ سيطرق الباب بكل وعيها تترقب تتوقع أن يطرق الباب يخُفق قلبها ولكن يخيب حدسها هكذا يتكرر ذلك المشهد تذرُف الدموع تعش مع أشجانها لم تفقد الأمل قط تُحدث نفسها أنه سيأتى لامحال سيأتى من أجلها !نعم من أجلها هى !.فهو حبيبها ! سيأتى من أجل ابنته التى لم ترَ منه إلا عُقوق المشاعر وسخاء اليد فى النفقة التى يرسلها مع الساعى فى موعِدها، ولكن المال ليس كل شى ء

وفى هذا الوقت ينفرد -جلال- بنفسِه يهرب من -نوال- يتعلل بالاطمئنان على -نبيل- ويذهب بخياله إلى أحلام يُشعل سيجارة وتخرج منه زفرات تحسُرعلى السعادة الحقيقية التى فقد القدرة فى الحفاظ عليها السعادة التى آخرها له القدر، ولكنه رفض أن يستمِر معها سعيدًا ما عاد يملك القدره على تحمل هذا الثقل الجاثم على قلبه أنه يبغض- نوال- يُبغِضها من كل قلبه، وما يربطه بها هو ابنه - نبيل- ليس لحماه عنده من دين إلا القليل

إن لم تكفِ الأرباح بالمصنع سيلجأ لبيع أرض من أرضه ويسدد دينه بدأت أولويات حميمية تطغى على حُبه للأرض والحياة على توسيعها وحسْب تقلبات الزمن والتجارب منحتهُ الخِبرة بمعرفة ما يُحَب وما يجب أن يضحى من أجله راجعَ خُططه فى الحياة وجد أن الأرض أو إكثراها يجب ألا تكن هى الغاية فتحرير النفس من قيد الآخرين أقدس من كنز المال وتشسع ملكية الأرض فكم من مالك للأرض وللذهب وللمال لا يعرف للسعاده مكان وكم مِمن يعيشون على الكَفاف ومجرد كلمة طيبة تملأ قلوبهم سعادة وبشر وحبور، هؤلاء هم من يملكون السعادة.

أيقن -جلال- عظيم خطأُه، فكم عاملها على أنها مجرد مرفأ يقضيى فيه بقايا أوقات فراغه إذا ما شعر بالضجر ؟ كم اعتبرها السوق التى يحصل من خلالها على مولوده الثانى والثالث عندما فقد حاجته فى ذلك بزوجته الأولى؟

كثيرًا ما كان يتعامل معها بتكبر وابتداع حاجز لا وجود له مع زوجته الأولى -وأحلام- تقسوا على نفسها وتزجُرها إذا ما شكت أو ضاق بها ذرعًا أرادت أن تنجح حياتها وتُنجح اختيارها الذى تحدت به الجميع وكان -جلال - يثق ويشعر بذالك

ندم -جلال- على تسرعه انتهت أشهر العِده وانصرم العام الأول على الانفصال، ولكن مازال قلبه يخفق بحبها

مازال الشجن يغالبه على فِراقها ماذا لو كان قائمًا معها إبان فترة زواجهما ؟ وليس سويعات ممنوحة لها على سبيل الهبة والتعالى من ذاته الناكرة والتى عرفت حجمها الحقيقى

بعدما نفرت الدموع قسرا على الحرمان القاسى من جنة تلك السويعات التى كان يتنعم فيها، ويشعر فيها أنه المطلوب والمرغوب والمرجو والمراد.

لقد تيقن أنها كانت نبيلة ولاقى نُبلها بالتعسف والتمرد والجحود كانت كبيرة القلب والعقل احتوت تقصيره بمنحة الأعذار

دافعت عنه أمام ذويها بكل ما أوتيت من قوة وحمت بيته فى غيابه من كل الجوانب

وبعد عام من الانفصال هو نادم وهى مترقبة أن يعود كانت سترخى سرج التمنع والصد فقط بمجرد أن يعود فما تكنه له من حب جارف لن يقف أمامه صد أو تمنُع ولكن مازال الخِصام وتوجْس الخوف قائم بين العائلتين حدث صُلح أمام القضاء ولكن مازال الصلح العُرفى لم يبدأ به أحد الجميع يتمسكون بالشُح فى التنازل وفشلت كل الوساطة التى تحاول إذابه الجليد ليعود الصفاء بين العائلتين كما كان، ولكن بلا جدوى وبعد انصرام العام بدأت مرحله وطور جديد وجدت نفسها تبحث عن ما تنتظر مجيئه تبحث عن سعادتها التى قد تذهب هى إليها وتستلبها من بين أنياب الحياة شغلت نفسها بالقراءة اشترت من المكتبة ورق ودفتر كبير كتبت مشروع تخرجها برؤيا جديدة مغايرة عن كتابتها له وقت دراستها أفرغت فيه خبِرتها وجم فِكرها وعُمقه دأبت على استرجاع ما غاب عنها لتستعين به فى المستقبل تخمْر داخلها فِكره العمل قى نطاق دراستها ملت

انتظـار الغائـب فرُبـما هـى ليسـت فى حسـاباته مـن الأسـاس جُرحـت فى كرامتهـا وجُرحـت فى قلبهـا وخـاب حدسـها فلـما لا تُسـعف روحهـا المُتلهفـة إلى فرحـة غائبـة عنهـا؟ لعـل الجـروح المتقرحـة أن تلتئـم وقنـوات العـين التـى ظلـت تنضُـح العِـبرات أن يـأن لهـا آوان و أن تجـف لتتلاشـى الحـسرات التـى انهكـت قلبهـا وأورثتهـا الانكسـار لقـد أمهلتـه مسـاحة كافيـه مـن الوقـت، ولكنـه أبـى أن يعـود أو أن يتنـازل ولـو مـن أجـل طفلتهـما .

***

-١٧-

عـاد -جـلال- إلى القريـة إثـر تلقيـه خـبر تسـمم كل المواشـى التـى بالمزرعـة الصغـيرة التـى كان قـد أنشـأها وكان يقـوم عـلى إدارتهـا ورعايـة مـواشي أخيـه وأبنائـه بنسـبة فى الربح متفـق عليها بعـد وصول -جـلال- ومشـاهدته نفـوق كل المواشـى اسـتثاره وآلمـه منظر المواشـى وهـى مسـجاة عـلى الأرض مسـلِمة الـروح فاغـرة الفـم

قـال فخـرى :لا أعلم من! شـىء مُخزن ! وأشـار بذراعـه وهو منفعل بحُـزن ويقل ل-جـلال-: الباب مُغلق، السـورعالى، العلف والبرسـيم يوُضـع بأيدينا وتحـت أعيننا

قـال -سـيد- مخاطبًـا عمه -جـلال-: فعل لا يخـرج من أبنـاء الحاج مدبولى!

انفعل -جلال- وعقف سبابته وقال رأيت أحدهم يضع السُم ؟!

لا ارتبك سيد من هبة عمه فيه وقال عمه: اسكت

لا تثـير فِتنـه وخـراب ودمار، انـا الخاسر الوحيـد وأبـوك! ولا أريد المزيـد مـن الخسـاره إذا ما نشـب عِـراك جديـد أو أريق دم

قال -جلال- لأخيه فخرى: أذهب ل-فتحى - وأخبره قال فخرى- بعفويه البلد كلها على علم نهض جلال وطلب من - فخرى أن يشاهد المبنى الذى خصصوه لمزرعه المواشى وعلى ضوء الفلورسنت والكشافات ذات «العمود الجاف» مسح -جلال- وفخرى المبنى تفحص كان مبتى المزرعة على هيئة مستطيل كامل بطول ثلاثين متر وعرض عشرة أمتار يتخللهم فى المنتصف خمسة أعمدة بالطول يتمدد عليها قمرات خشبية تشبه أعمدة الكهرباء القديمة مخصصة كعوارض يوضع عليها عروق خشبية مفروشة بخوص النخيل، ولكن ما لفت أنتباه -جلال هو وجود خزان ماء على هيئة مُكعب كلح من القِدم وعمْ سطحه وجوانبهُ الصدأ صعد جلال وتفحصه ونظر إلى الشارع وقدر المسافه بين مستوى فوهة الخزان والشارع وغمغم قائلاَ مُستحيل الخزان مُغلق وضع -جلال- يده على الخزان فتلونت يسراه بلون الصدأ الأصفرالقاتم تُقدر سعة الخزان بمئآتى جالون موضوع على السطح قُرب أحد الزوايا تأكد -جلال أن المواشى تسممت عن طريق وضع السم بالماء سأل -جلال- :أن كانوا يعتمدون عليه فى سقاية المواشى؟ قال -فخرى -:عندما ينقطع ماء البلدية، سأل مرة أخرى عن أخر مرة قُطعت فيها

الميأه :أجاب -فخرى من يومين وهى تنقطع طول النهار، أراد فخرى إقناع -جلال بإبلاغ العمدة ليحولهم إلى المركز ولكن جلال تروى

قال : اذهب لـ-فتحى - وأخبره أن يع لمواشيه فمن فعل بنا ذلك سيحاول فعلهُ عنده وعند أخوته ليثيرالفَتنه العراك ويجدد المشاكل

العالقـه !ثـم اسـتطرد فى الحديـث وقـال: أخـبره أن نعقـد مجلـس صُلح وليدعـوا فيه أغلب أهـل القريـة.أراد -جلال-أن يقطب عـلى المصائب والمكائـد التـى تُرتب وتُحـاك لهم.

لمـح -جـلال- جلبـاب- سـيد- ابـن أخيـه متلـون ومتوسِـخ بلون الصـدأ تذكُـر لحظـة صعـوده مـع أخيـه -فخـرى- لم يكـن معـه إلا- يونـس - ابـن أخيـه - وضحت الرؤيـا وتجلـت الصورة واضحـة جلية وضـوح الشـمس فقال جلال- مـن الواضح أنكـم لم تلتقطوا أنفاسـكم منـذ مـا حـدث ماحـدث؟ قـال -فخـرى: مـن الصبـاح وهـم ينقلـون المواشـى لمقلـب الزبالة.

استأذن -فخرى ليذهب لـ -فتحى - قبل تأخر الليل

وذهـب يونـس حيـث أراد أن يذهـب، ونهـض -سـيد ليلحـق ب-يونـس- تـاركًا عمـه -جـلال- بمفـرده فى «المنـدرة» فاسـتوقفه -جـلال- وقـال لـه أريـدك فى شـىء ضرورى أغلـق البـاب!

تملك -سيد- ارتباك مُفاجىء وشعر بازدياد دقات قلبه

سأله -جلال-: عن موعد اكتشاف موت المواشى

قال سيد: فجر اليوم

أنت صعدت على سطح المزرعة اليوم ؟

لا! ثـم قـال سـيد : منـذ الصبـاح وجميعنـا مشـغولون بنقل المواشـى الميتـه إلى مقلـب الزبالة.

قـال جـلال بحنـق و ضيـق ولـوم خـارج بحـسرة لا حـد لهـا لِمـا وضعـت السُـم فى الخـزان يـا -سـيد-؟

قال ذلك بصوت واطىء يشوبه الغضب والحنق حتى لا يسمعه أحد، يخشى أن يعلم -فخرى -سيطرده من البيت إذا علم أن ابنه الفاعل لتلك الجريمة النكراء

أنا يا عمى!

الصدأ الذى على جلبابك يشهد ويقول إنك من لامست الخزان وفتحت غطاءه ووضعت السم ! ولو أبلغت عنك وجاءوا ورفعوا البصمات سيتم حبسك ويضيع مستقبلك وستسقط من نظر الجميع، لأنك خائن خُنت عمك! خُنت والدك ! وخُنت نفسك وقد يميل معك والدك وأخسره للأبد بسببك وقد يتهور ويفعل بك ما لا يُحمد عُقباه لهُ أو لك وبعد فعلتك تحرضنى على اتهام -أولاد الحاج مدبولى

أطرق -سيد - وجهه فى الأرض عجِز أن يوجه عينه صوب عمه

لما فعلت ذلك؟ أمسك بتلابيبه وكررها لما فعلت ذلك؟ ماذا فعلت بك؟ ماذا فعلنا بك جميعًا كى تضُرنا هذا الضرر؟

تحدث !لاتخف ! قل كل ما بداخلك، لن أخبر أحدًا، لن أخبر أبوك، لن أحدث حتى نفسى بفعلتك، ولكن تكلم لما فعلت ذلك

أنهمرت الدموع من عينا-سيد - مدرارا وطفق يُخرج ما يكِنه من غيظ ويسِره لعمه من حقد

ثُم قال:كلنا نعمل خادمون عندك

أنعم -جلال- النظر إليه وقال:عندى أنا!.

كل شىء حولنا اسمك فيه

المواشى لك، معظم الأرض لك إلا القليل لوالدى، لك، البيت الكبير لك.

حتى العُمدية أسمعهم يُلسِنوا أنك ستترشح لها من دون أن تطلبها أنت! وأنت تعش بعيدًا عن البلد!

لا أعرف لما فعلت ذلك ولكنى فعلت ولو أردت تبليغ الحكومة سأعترف سأعترف وما عاد يُهمنى شىء

صمت -سيد -وجفت عيناه من الدموع ولكنها منكسره بين محجريه، وبتروى ورزانة قال جلال :لم اظلم والدك مثقال ذره وبالفعل أغلب الأرض صارت لى وباسمى! ولكن والدك الذى يتصرف فيها كيفما يشاء يزرع ما يزرع ويؤجر ما يؤجر و ما يعطينى إيّاه كل عام لا أراجعه فيه ولا أحاسبه بأى تدقيق حتى المزرعة التى نفقت جميعها كان هدفى مشروع صغير سينَمِي نفسه أردت الربح لى وازدياد دخل والدك أنا أشعر به! فأخوتك خمسه!.منكم الشباب طالبى الزواج ومنكم الصغير الذى يحتاج تلال من المال ليكبُر لم أضع فى بالى إلا أن أجعل الأرض سبب لمصدر دخلكم خيرًا من أن تعملوا عند الغرباء كانت المزرعة قائمة على حشائش الأرض الضارة من الناحيتين تأتى الفائدة ناحية نظافة الأرض والأخرى تربية المواشى بأرخص تكلفه الرِبح كما اتفقت مع والدك مناصفة لأن الأرض لى، ولكن سواد قلبك أضرك وكان أول من حاق به الضرر هو أنت! فوالدك كان ينوى على تزويجك من ربح المزرعة

أمّا شِرائى أرض والدك، فهو فى كل الحالات كان سيبيع كيف كان سيدفع دِينه، وأنا أولى بشرائها من الغريب

لقد حذرت والدك من الخوض فى أى مشروع ليس له به خبرة ، ولكنه ركب جواد العند وغامر! غامر بمبالغ خيالية

والدك شغّل وصرف على ثلاث مزارع دواجن فى آنٍ واحدٍ وكلها خسرت! وما بقى من دواجن هبط سعره لتفشى الأمراض وقتئذ

أنا كنت أول ناصح له، ولكنه تكبّر أن يسمع لى كان يقول لى أنى ابن مدارس لا أفهم فى عمل الفلاحة ولا فى الدواجن

مال سيد-على يد عمه وطفق يُقبلِها ثم نزل ليقبل قدمه فنزل إليه -جلال- وأوقفه وأخذه فى حُضنه ليخفف عنه تأنيب الضمير ولحظات الخزى والعار التى خيّمت عليه ووعده أنه لن يخبر أحد وقال -جلال - لعلّ ما حدث كان سببًا لنعقد مجلس صُلح مع أبناء الحاج مدبولى ويتلاشى الخِصام والقطيعة؛ لأنه يوجد من يتربص بنا

قبل أن يغادر -جلال- القرية صرف ليل طويل عانى فيه الكثير من الذكريات و المآسى والفجعات من أقرب ما يكن له تذكر -أحلام -بعفويتها وطيبتها وتذكر الظلم والطعنات المتوالية التى تحملتها منه ومازالت ثابتة لم تنثنى ولم ينحنى ظهرها ولم تشكوا ولم يصبها الضجر تذكر سيد حينما انفرد به قبل زواجه بأحلام حينها شوّه صورة أحلام وادّعى أن لها تجارب وقصص حب وخطابات مع أكثر من شخص تزرَّع سيد وقتئذ أنها كانت

ابنة مدارس وقدمها تدوس مداخل ومخارج القرية يوميًّا وهى ذاهبة إلى المدرسة حتى حصلت على الشهادة الجامعية. فجميع إخوانها لم يكملوا التعليم ولم يكن لديهم الرغبة وركنوا إلى العمل فى أرضهم

أمَّا هى فكانت متفوقة، وبعد الدراسة رضخت لأوامرهم وأعرضت عن التقدم لوظيفة التدريس أصر -جلال- على اتمام الزواج بالرغم من محاولات -سيد- أثناء عمه عن ذالك ولكن -جلال -أخذ كلام -سيد- داخله على أنه كذب وافتراء لكون عائلة الحج مدبولى المنتسبة إليها- أحلام -مع خلاف مع أخوال -سيد - خلافات لا تنتهى بسبب الأرض والطرق ومن له الحق فى الرى أولا و .

ولكن الأمر لا يخلوا من أخذ الكلام على محمْل الجد، ولكن رغبته فى الزواج وحبه وتوقه أن يفوز بتلك التى لم توافق على أحد قبله البته بنى جدار قوى ضد التملص أو الانثناء على إتمام ما بدأه

ولكن ظلت وساوس وظنون نمت رويدًا رويدًا بعد الزواج، ولكن كانت نتيجة أنه أحبها أحبها من أعماقه فتلاشت تلك الوساوس، هام بها وشغلت كل شىء فى حواسه غازلت خطواته وخيّمت على غفوه وصحوه أرادها له وحده ولكنها ما عادت له الآن أرادها لعينيه لا يشاركه فيها أحد، ولكنه أصبح عاجزًا أن يحكم فى ذلك من شىء وقد انفصل عنها بمحض إرادته، وهى كانت ترجوه، ولو ظلاً تستظل به ولو اسمه مقترن باسمها فقط أنها زوجة -جلال-! إلا أنه انساق خلف الغضب وخلف الحِميّة والانحياز لأهله وعائلته

يومـاً مـا تلفـن عليهـا وعندمـا علمـت أنـه هـو أغلقـت السـكه أراد أن يُصلـح مـا أفسـده الغضـب ولكـن كرامتهـا غالبـت مشـاعرها ولمـا يـأس مـن تكـرار محـاولات الاتصـال وهـى تأبـى أن تُجيـب كـف عـن ذلـك والتمـس لهـا العُـذر

لقـد زاد الحواجـز التـى تفصـل بينهـم حاجـز يـلى الآخـر هـى تعلـم أن عائلـة زوجتـه الاولى تحـول بـين اسـتمرار زواجهـم ! تحكـمات زوجتـه الأولى و»حمـاه «يقفـان حائـط صلـد أمـام محبتهـما. التـى تتنامـى سريعًـا، وكأنـه كان يخشـى مـن تزايدهـا فيجـد نفسـه عاجـزًا أمـام زوجتـه الأولى أن يعـصى لهـا أمـرًا ويكـن هـذا الحـب عثـرة فى اسـتمرار نجاحاتـه المتواليـة والنهضـة التـى جـدت عـلى مصنعـه وتميـز إنتاجـه وعـدم ملاحقـة الإنتـاج عـلى موافـاة الطلبيـات المطلوبـة، أم أن المواقـف والخلافـات التـى تمخـض عنهـا الأنفصـال كانـت بـلا ترتيـب مُسـبق وجـاءت بترتيـب القـدر ودعمهـا العصبيـة والدفـاع عـن الأهـل والحِميّـة والانفعـال الـذى ضرب بـكل ود وحميميـة عـرض الحائـط

***

-١٨-

عـاد -جـلال- للقاهره واعـدًا أخيه -فخـرى- بالعودة حـال تحديد مجلـس الصُلح.

أخـبر- نـوال- بـما جـرى واشـتعلت بهـا نـار الغـيرة وتأججـت لِما علِمـت بمجلـس الُصُلح بـين عائلته وعائلـة -أحلام- لقـد جفلت من هـذا الصُلـح أن يتمخـض عنـه الصُلـح بين -جـلال -وأحـلام- وهذا مـا تنتظر وتشـتم حدوثـه منـذ أن علِمـت بالطلاق

فى الصبـاح بينـما يبـاشر -جـلال- عملـه فى المصنـع رن الهاتـف كان حمـاه! طلـب مـن -جـلال- تدبـير مـا له مـن ديـن ادّعـى أنه سيشـترى «شـاليه» وأسـاس جديـد ويعيـد دهان شـقته وهـو فى حاجه إلى سـيوله بـرر -لجـلال- حاجتـه للـمال أراد أن يُحرج -جـلال- طبَّق عـلى مصيبة المواشـى بضغـط تدبير الديِـن المُسـتحق عليه.أبت كرامتـه أن يطلب من نـوال التوسـط إلى أبيهـا حتـى يُمهلـه مزيـد مـن الوقـت كان -طاهـر- والـد نـوال يرمـى إلى أن يدخـل بهـذا الديـن بنسـبه ولو نصـف ماله من أسـهم وسـيدفع طاهـر الباقـى إذا زاد ثمـن الأسـهم عـن أصـل الدين. هكـذا لمّحت نـوال -لجلال-

ولكـن جلال أيقـن أن قُرب خروج طاهر لاسـتيفاءه السـن القانونى هـو مـا دفعه لذلـك، ولكن -جـلال - رفـض وأصر على تسـديد الدين الـذى عليـه بالسـيولة النقديـة، فهـو يعلـم أن -طاهر-تشـبّع بالقيـادة وسـيخوض فيـما لا يعلمـه ويـصر عـلى رأيـه دون سـابق خـبرة لمجـرد أن داخلـه حـب القيـادة التـى تقلـب بهـا وصـارت جـزءًا لا يتجـزأ من طباعه .

شـعر جـلال أنـه فى آتـون حِقـد ومكائـد تضاءلـت نسـب السـعادة وبـات يكابـد كل يـوم مصائـب ونكبـات، شـعر أنـه يـدور فى دائـرة مغلقـة الجميـع يطلبـون الجميـع فى عـوز منـه، الـكل حولـه منفتـح للأخـذ! للأخذ وحسـب ممـن يطلب هـو العطاء لقـد أضاع ممـن منحتهُ العطـاء بـلا مقابـل ومنحهـا هواهجـر وجعل الأمـان يتلاشـى، وتركها فى وضـح النهـار تتعثـر بين أمـواج الخيبـة والرجـاء منحته كُل شـىء فى وقـت كان الجميـع حولـه مُشرئـب له الأعنـاق كـى يأخذ منـه ! الا هى كـم تمنـت لـه النجـاح كم كانـت تتـوق لأن يقر عينهـا بأن يمكـث معها المزيـد مـن الوقت

كانـت فى سِرهـا تنعتـه بالوجيه القـروى، وعندما يخطر إليهـا مرتديًّا البدلـة كان يخـال إليهـا أنـه شـبيه مـن دور الفنـان «حسـين صدقـى «فى فيلـم العزيمـة كانـت تـرى فى ثقـل شـخصيته والهيبـة التـى توشـى بهـا ملامحـه ومشـيته مـا بـين الهوينـى والاعتـدال لكفيلـة أن توقـع فى حُبـه أجمـل الفتيـات، فكانـت تحسـد نفسـها لزواجهـا منـه بالرغـم مـن قلـة الأوقـات التـى يأتـى فيهـا إليهـا إلا أنهـا كانـت سـعيدة به سـعيدة معه، وسـعيده فى قربـه، وسـعيده فى بُعـده مـا دام هو بخـير، وسـعيده باقتران اسـمها باسمه

أرسل -جلال- أخته للاطمئنان على أحلام وكأنه لم يرسلها كان دافع -شريفه - أخته الظاهر السؤال عن -حبيبه- بصفتها عمتها يجيز لها أن تزورها وتطمئن عليها تظاهرت -أحلام - بالصمود ورباطة الجأش ورحبت بها خير ما يكون الترحاب لم تثير أى شىء عن الطلاق أو الصُلح والعودة وكانت أحلام أكثر حِكمة واعتدادًا بنفسها سألتها -أحلام- عن أبنائها وعن زوجها واطمأنت عليهم منها، وسألت - شريفة- أحلام- سؤال كان وقعه على أحلام - شبه جارح فقد قالت لها كيف تعيشن فى هذا البيت الفسيح بلا رجل ليس لك أن تبقى هنا بمفردك إلا أن أحلام - ردت قبل أن تكمل -شريفه- باقى سؤالها المعروف تكملته من فرط ما قيل! قالت -أحلام- لو بين الجبال سأعيش لو بين ألف رجل سأعيش! ولن ينال منى أحد شىء أنسيتى ابنة من أنا؟! فترة زواجى ب -جلال- كان يأتى ساعات ويذهب وطيلة الوقت كنت وحيدًا! شىء ليس غريبًا عليَّ اعتدت عليه من أيام جلال! .ثم إننى سأعمل واجتزت الاختبار بامتياز وسأعمل معلمة فى مدرسة خاصة فى أرقى الأحياء بالقاهرة ولن تُعيقنى المواصلات سأتدبر حالى! ضربت شريفة على صدرها وقالت بتعجب وحُرقة تعملى ! وجلال لن يوافق.

قالت -أحلام- وما صفة جلال إن وافق أو رفض -! جلال ما عاد له حق عليَّ منذ أن انفصلنا، أمَّا أنا لن أعمل شىء خاطئ أو أجترف جُرمًا، سأعمل فى مجال دِراستى بلا واسطة ولا رشوة ولا محسوبية بلا تنازلات من أى نوع سأعمل باجتيازى للاختبار وحسب.

ولَّما علم -جلال- من-شريفة- أن أحلام- ستعمل وقد اشتعلت فى قلبه نار الغيرة كلما حدّث نفسه عن ذلك امتعض وتوثق لديه

حبه لها زفر زفرة كان حانق وغاضب وثائر وقل ما يفقد اتزانه إلا أنه فى تلك اللحظة ثائر.

اتصل بالمصنع ردت عليه السكرتيره -سهام- أبلغها أنه سيتغيب يومان أو ثلاثة وأبلغلها أن ترسل البوستة وأى شىء متعلق بالعمل للشريك الثانى الذى ينوب عنه - ٠ مهدى-ةجمع متعلقاته وملابس لثلاثة أيام لأكثر تقدير ركب سيارته «البيجو»وانطلق إلى مصيفه المفضل «العجمى» لا شك أنه ليس الأفضل فى تصنيف المصايف أو فى الجمال، ولكن الأفضل لديه فقد شهد معه أجمل أيام المراهقه والشباب كل حلم قد حلُم به كان على هذا الشاطىء كل فتاه لهث خلفها لم تحبه ولم تكن من نصيبه شهد آهاته وسمِعُها هذا الشاطىء، ولكن المكان فى قلبهَ! حب لا ينتهى حجز شاليه مُطل على البحر لم يعاود الذكريات ويحن إلى الماضى فينزل ويعانق مياه البحر الذى افتقد ولوجه منذ فترة ليست بالقليلة، ولكنه اكتفى بالتأمل فى الشاطىء وفى الناس وفى المراهقين وجذوتهم التى لا تنطفىء وبين الشباب الذى دخل فى دائرة الحسابات والأرقام والقسط والكاش والتوفير

وبين الرجال بمختلف أعمارهم وانشعالهم بشتى مناحى الحياة وجد الشاطى وكأن كل تلك البشر التى على الشاطىء تتجسد فى انسان واحد يحمل كل الأعمار فى آنٍ واحدٍ به كل الأحلام والآمال والأفراح والأتراح

جلس وتذكر أحلام ونوال جاءوا فى مخيلته فى وقت واحد فى مشهد واحد مقارنه مكتظه بالتناقض ما بين البساطة والعجرفة، بين الجمال القلبى، والجمال الظاهرى وحُب الامتلاك والحب من أجل

الحب بين التسلط والاحتماء بتاريخ الغير ولو كانوا ذويه، وبين الاحتماء بطيب القلب وحُسن الطوية

جاءهُ -سيد- ابن أخيه أيضًا فى خياله رآه ذئبًا متواريًّا خائفاً متملق ومتزلف ومداهنة لا تكف ولا تنقطع متواصل على الخداع بكل احترافية ويحمل بين حناياه قلب أسود من ظلام الليل الدامس

تذكر أخيه فخرى، ولكن بالرغم من كل شىء إلا أنه يحبه بلا أغراض، يراه له السند والدِرع، يسعد لفرحه، ولا يرضى أن يتعثر قى شىء إلا وهب لمساعدته، لم يتوان فى مشاركته فى كل أعبائه وبالذات منذ فقد أغلب أرضه التى باعها ليسد دينه ترك -جلال- أرضه التى كان يوكل رعايتها لرجل آخر من القرية تركها لـ -فخرى- تحت رعايته حتى لا يشعر بضيق اليد وقد ضاقت أرضه عليه، فكان يزرع من أرض -جلال ما يشاء ويؤجر باقى الأرض، كان جلال لا يأخذ منه إيجار لما يزرع من الأرض، ولكنه فى نفس الوقت كان يحمى الأرض من طمع الجيران، ومن الحشائش الضارة، وكان يشترط على المستأجر حرث الأرض ووضع السماد البلدى

توغل -جلال- فى ذاته، لحظات مناجاة ومحاسبة

يسأل ذاته ماذا تريد؟!

ما يُسعِدك؟!

ماذا يُرضِيك؟!

ثمْة كشف حساب لايُرى للغير، ثمة أخطاء متوالية يحسبها فى خانة الصواب وضروريات ملحة، ولكنها كانت فى خانة الهامش، وثوابت تلاشت تحت ذريعة أنها غاية، وما كانت بغاية، بل كان

يحسبها ويتيقن أنها كذلك! أجمل سنوات عُمره مرت وتسربت من بين يديه كما ينساب الماء وهو فى تيه ما بين جمع المال وتوسيع الأرض، وبين البحث عن السعادة والحُب والرومانسية التى افتقدها منذ زواجه الأول صار مُشتت الذهن بات لا يعلم إلى أى جانب تميل مساعيه أن يُرضى طموحه ويلهث خلف المال أم يُسعد قلبه الذى يُلح عليه بالمزيد من السعادة والحب المفتقدين

تذكر أحلام وجاست فى خياله ترفل فى ثوب فضفاض روعة فى الجمال زادها جمالا على جمالها خالها تخطر عائده من العمل ويسير بجانبها زميل لها يحاول استمالتها اليه بمعسول الكلام والتظاهر بالمثاليه تلك القروية ذات القلب الطيب! عندما علم بفكرة العمل وهو مشتت الذهن النوم بات يُجافيه! والسُهد يلازمه لم يتطرق لحياه ابنته-خلال-فترة عملها بل تملكته الغيره وحسب، ضاع الوقت وليس له عليها حتى مجرد النُصح هو يثق فى صلابتها ولكنه أيضًا لا يثق فى الآخرين من حولها

عام ونصف مضى وابنته -حبيبه - فى عامها الثالث تسير، لم يرَ- حبيبه - إلا لحظات يراها فيها، ولكن همه كله أن يرى -أحلام- كان يُظهر القوة والصمود حيالها، ولكنه فى داخله يحِن إليها حنين الطفل لدفء أمه، لقد تضاءلت -أحلام- فى نظره حين كان همه الجنيه والأرض وأرباح المصنع ورضا حماه وابنته -نوال- كانت أحلام- ضئيله بجانب كل ذلك!

***

-١٩-

كان حماه خير ناصح له وبالكيفيه التى يدير بها مستقبله ولكن فى نفس الوقت يحرص على أن يظل -جلال- منساق خلف قيادته يوجهه كيفما يشاء، فبعد أن رفض -جلال- أن يدخله فى المصنع بأى نسبة تظاهر- طاهر- بتناسيه لذالك. عرض -طاهر- على جلال -خوض غِمارالانتخابات اوضح له المكاسب والفُرص السهله للغنى الفاحش إذا ما لاذ بكرسى البرلمان أبدى -جلال الموافقه المبدئية أراد أن يجارى - طاهر- ليلوذ ببعض الوقت ليدبر له الدين المستحق قال جلال انت تعلم أن تسديد دينك من أولوياتى قال-طاهر -سأصبر وسالغى شراء الشاليه ولن اعيد تجديد الشقه ولا أثاثها وسأسخر كل ما لدىَّ من سيوله ماليه رهن أمرك

قال -جلال- :بوصولات أمانه طبعاَ!

قال-طاهر-ضمان الحق ليس به شىء العمل عمل

وعندما درس -جلال- جدوى اقتراح حماه -طاهر- وجد أن المرشحين الآخرين ذات صيت ولديهم خبرة وتمرس ولهم قاعدة انتخابية عريضة.

أيقن -جلال- أن ما يدبره له حماه كا «أتون» دين ليظل به رهن إشارته يُفعل به ما يشاء، عرِف «حماه» نقطة ضعفه

ظـل زمـن يسـوقه كقطيـع كثـيرًا مـا كان ينتابـه شـعور العبوديـه. وصعوبـة اتخـاذ القـرار إلا إذا أعـاد الـرأى عـلى حمـاه وزوجتـه فهـم مـن يملكـون صولجـان الموافقـه والتأكيـد ثقتـه فى نفسـه مترنحـة عـلى الـدوام الشـىء الوحيـد الـذى يملكـه ولا يسـمح لأحـد أن يقربـه هـو أرضـه وصلتـه الطيبـة بأخيـه فى القريـة وأختـه -شريفـه-

عـزم -جـلال- رفـض اقـتراح حمـاه «طاهـر» عقـد النيـا عـلى التخلـص مـن ديونـه قابـل حمـاه «طاهـر- رفـض -جـلال -اقتراحـه بمثابـه تملـص وتمـرد مـن -جـلال- نحـوه انسـلال مـن بـين مخالبـه فقـام -طاهـر -بتهديـد -جـلال- وتذكـيره أنـه كان سـببًا فى إنشـاء مصنعـه الـذى ينافـس أكـبر المصانـع الآن ضحـك -جـلال-! وقـال: وأنـت حصلـت وقتهـا عـلى عمولـه مُرضيـة فصاحـب المصنـع القديم لم يُخفـى عنـى شـيىء تـضرج وجـه «حمـاه» وقـال واجهنـى بـه فمـلأ السـخر ملامـح -جـلال- وابتسـم بامتعـاض، وقـال مُنهيًـا هـذا الموضـوع قـال بتهكـم: «الله يرحمـه».

فى البيـت بمجـرد أن عـاد وجـد -نـوال- تترقـب وصولـه قالـت لـه أن والدهـا يسـعى مـن أجـل مصالحنـا انبتـه عـلى رفـض لـكل مـا يعرضـه عليـه والدهـا مـن أفـكار فى الفـتره الأخـيرة قـال لهـا أن حياته مـن الآن وصاعـد ولـن يسـمح لأحـد أن يتدخـل فيهـا !

طلبـت مـن عـدم إتمـام الصُلـح مـع أبنـاء الحـاج مدبـولى، قـال لهـا هـذا مصـير عائلـه، ولـن ادع غيرتـك وبُغضـك لأحـلام أن تعبـث بـه.لأول مـره ينطـق اسـم -أحـلام- أمامهـا، وقـد اشـتعلت فيهـا الغـيرة تلهـب قلبهـا وتؤجـج ضجرهـا طلـب مـن نبيـل -أن يرتـدى ثيـاب الخـروج ليذهـب معـه إلى المصنـع اعترضـت -نـوال- ولكنـه قابـل اعتراضهـا بالتجاهـل

أخبرها أنه أيضًا سيسافر معه إلى القرية فهو لم يذهب إليها إلا وهو طفل صغير، والآن بلغ الخامسه عشر

استشاطت غضبًا وقالت بسخر «البلد»!؟

فعلا صوت -جلال - وقال: نعم البلد

وقد يأتى يوم وسيأتى وسنستقر فى البلد

فقالت بتعنت وكِبر أنا وقبل أن تكمل ما عرف تتمته قال لها :

أينما أعيش أنا تكونين معى وأمامك بعد ذلك كل الخيارات

لأول مره منذ سبعة عشر عامًا يخرج -جلال- عن صمته لا يخشى حنقها أو أن يُثار لغضبها لا يحسب لوالدها وجود ولا يبالى لرد فعله حيال إغضابه لابنته وفى مشاده حدثت كانوا بين شد وجذب- نوال -ووالدها طرف و-جلال- الطرف الآخر بعدما كان يرضى الطرفين كلا على حدا صار يجابههم

يرفض املاءاتهم، أصبح لا يلوى على غضبهما معًا، ملَّ من تهديد -طاهر -بتعطيل مصالحه فرد -جلال- فى حنق :أنا سأغلق هذا المصنع أو أخرج منه! سأبيع أسهمى لك أن تشتريها لو أردت إذا كان المصنع سيظل سيف على رقبتى ! لأول مرة ترى -نوال- هذا الوجه الغاضب والأسلوب الفظ الملفع بالحِمية والاعتداد بالذات لأول مره ترتجف منه شعرت برعشة وارتعدت أوصالها دب داخلها تلذذ من الحاله التى هو عليها وتشوقت له كأنها اكتشفت فيه ما كانت تبحث عنه منذ زمن بعيد

***

-٢٠-

اتصل- جلال - بـ -أحلام- وأقنعها أن أول رؤيه لـ -حبيبه- يجب أن تكن عندها فى البيت فهو يخاف أن تجفل منه وهى لم تراه من قبل ولم تألف وجوده، ثم سألها ماذا قلتى لها عنى

-قلت لها أنك فقير وتعمل فى مكان بعيد.

ولما كذبتى وتقولى لها أنى فقير

-الفقر ليس فقر مال وحسب

أخبرته أن يمهلها بعض الوقت وستواتيه بالرد

تلفنت على أخيها فتحى وقصت له ما حدث

سعِد -فتحى - لحُسن تصرفها وأخبرها أنه سيحضر الاثنين

تلفن -فتحى -على -جلال وطلب منه أن يأتى فى الصباح غير ناظر إلى توقيت -جلال- المُلائم فى أى وقت من النهار، ولكنه وعده أن يأتى فى الصباح، كان يعمد إلى ذلك أن هيَّأوا -حبيبه- من الليل لرؤيته حتى لاتُفاجأ وتُصدم، وأقعدوها من الروضة فى ذلك اليوم، وبعد أن ينصرف يتثنى لـ -فتحى -أن يلحق بقطار ما بعد الظهر كان -فتحى لا يسافر المسافات الطويلة إلا بالقطار وإذا تركه قطار ينتظر الآخر؛ لأنه دائمًا يُصاب بغثيان من المواصلات الأخرى.

ولَّما جاء -جلال- صافحه -وحضرت -أحلام وفى يدها- حبيبه - أقعدتها بجواره وقالت لها» بابا «.

اقترب -جلال- من ابنته-حبيبه- جفلت قليلاً، ولكن فتحى شجعها نحوه وقال اقتربى منه واحتضنيه! إنه بابا!

فتح -جلال- أغلفه الألعاب التى جلبها معه، وكانت من أحسن محلات لبيع لعب الأطفال

لم تنبس -حبيبه- بكلمة فهى ابنة ثلاثه سنوات وأشهر ولم تُسعدها الهدايا التى جاء بها ظناً منه إنها ستفرح بها وترتمى فى حُضنه من أجلها

ولَّما يأس -جلال -من استقطاب عقل وقلب -ابنته ولم تلتفت إليه البته قالت لها -أحلام- قبِّلى بابا وأحضنيه فقد كان مسافرًا مُرغمًا (هى تذبح فيه وهو يشعر بوخز سكينها !).قامت -حبيبة -وقبَّلت والدها وبدأ قلبها يرق وشعور السعاده يتنامى داخلها وقبل أن ينصرف -جلال- اتفقوا على موعد يأتى فيه» الساعى» لديه بالمكتب ليأخذ -حبيبة - لتمكث مع والدها بعض الوقت كان يستقبلها فى مكتبه ويذهب ويتناول معها العشاء فى أحد المطاعم، ثم يقوم معها بنزهة تارة إلى الحدائق أو إلى أخته -شريفه- كان فى كل مرة يغير مكان التنزه أراد أن يعوضها كل أيام الوحدة والعزلة التى عاشتها وهى صغيرة، وهو فى الحقيقة يريد أن يُرضى ضميره بسبب بُعده وتخليه عنها فقد كان أشبه بمن كان تحت الإقامة الجبرية.

وبعدما رق قلب -حبيبه - وتواءمت مع وجود والدها فى حياتها كانت تذهب لوالدها مع الساعى الذى كانت ينتظرها بسيارة

وسائقها تتبع سيارات المصنع، وأحيانا كان يُرسل -جلال- هدايا مع «الساعى» وكلما أرسل هديه لـ -أحلام- كانت تأخذ هدايا -حبيبه- وترد مع «الساعى» الهدية الخاصة بها رفضت أن تفتح أى باب يمكن أن يشجعه على معاودة طلبه للرجوع إليها مرة أخرى كان جرحه لها من الصعب أن يطيب ومع مرور الأيام يتزايد بعدما ترقبته أن يأتى عامًا وأكثر ولا يشفع له نسيان لأن يندم.

***

-٢١-

داهـم المـرض أم -فتحـى - التـى قامـت بتربيـة -أحـلام- وهـى صغـيرة عـلى يديهـا، ولم تتوانـى -أحـلام- بمجـرد علمهـا بمرضهـا عـادت لاهثـة إلى القريـة فديِـن رعايتهـا لهـا ومعاملتها لها وهـى صغيرة كابنـه كان أكـبر دافع لأن تُـسرع إليها الخُطى وقت مرضهـا مكثت على فـراش المـرض شـهر و-أحلام-تخدمُها وتعطيهـا الأدويه، وتسـتعطفها عـلى تنـاول الطعـام الـذى ترفـض أن تتناولـه وتذهـب بهـا إلى الحـمام متكِئـة عليهـا وتعكِـف عـلى نظافتهـا وتغيير ملابسـها

ولكـن الشـيخوخة وتراكـم الأمـراض وأزمـات القلـب المتتاليـة حالـت بينهـا وبـين الحيـاه وصعَـدَت روحهـا إلى بارئهـا وكان حُزنهـا عليهـا شـديد حتى أن زوجـات إخوانها كانـوا يعتقدون أنهـا تمثل الحُزن وترتجـل البُـكاء، فكـون الحُـزن لم يبلغ فى نفوسِـهم مقدر ما بلـغ أحلام! فظـن أنهـا تُمثـل الحُـزن تلـك الفـترة التـى قضتهـا -أحـلام- فى البلـد أرسـلت -حبيبـة - إلى والدهـا مـع السـاعى عمـدت إلى ذلـك لتتفـرغ تفرغًـا كامـلاً لرعايـة أمهـا «أم فتحـى» ومـن جانـب آخـر تعتـاد عـلى والدهـا وتوغـر بهـا صـدر -نـوال-.

أمَّا -جلال- لم يأخذ حبيبه إلى البيت حيث تسكن -نوال- فلن تسمح له بذالك كان يخشى تململها وغضبها وحنقها فهى مشحونة من -أحلام- مقتاً وغيظا، وإن أخذها ستستقبلها على مضض، وقد يؤثر هذا على نفسية -حبيبه- إذا ما تأذت من ذلك وشعرت.

ولكنه ذهب بها مع الشغالة وكان قد ذهب هو بنفسه معها إلى البيت واحضرت ملابسها وكُتب الروضه، وذهب بها إلى بيب أخته حيث تقطن قريبة منه قضت فترة غياب أمها مع عمتها التى ساقها لها القدر وألفتها وألفت وجودها -فحبيبة- هادئة -ومطيعة وانطاعت لكل وصايا والدها عندما تركها مع عمتها، ولكن تواجد الشغالة مع -حبيبه- ذالك ماهوّن على حبيبة غياب والدتها.

وبعد انتهاء العزاء وفى اليوم السابع جمع فتحى اخوته -فهمى وفريد- وقال لهم: إن المرحومة تركت نصيبها فى البيت لـ- فهمى -لا يطالبه أحد بأى شى فيه، والسبب أنه من حمل همها وهى تسكن معه أمَّا نصيبها فى الأرض يوزع بالتساوى على الثلاثه وأخرج منديل يد قديم ملفوف على هيئة سُرة صغيرة وكان قد أخرجه من كيس صغير شبكى ومدَّه نحو -أحلام- وقال مصاغ المرحومة تركته لك! «تركته لـ -أحلام- كما تفعل الأمهات بالقرى توصى بذهبها لبناتها، وقد كانت تعتير -أحلام- ابنتها لم تسلم -أحلام- من همز ولمز نساء إخوانها، أمَّا فتحى بدوره فقد قال أن السُرة تركتها معه من عام وأكثر، فصمتنَّ غير مأسوف عليهنَّ

كانت -أحلام- تأتى إلى البلد كل عام ومعها -حبيبة تمكث اسبوع أو عشرة أيام فقد كان الحنين إلى الموطن الذى درجت

فيه يراودها وزكرياتها التى لا تفارق مخيلتها تبث فيها دافع قوى يبعث على أن تعود منقاده من قوه خفيه داخلها عرفت -حبيبه- أقاربها وزارتهم وكانت تذهب إلى بيت عمها وتمكث عند عمها وكان ذلك بأمر فتحى - حتى تعرف - حبيبة أقارب أبيها، ولكنها كانت تكره أن تذهب كثيرا إلى بيت عمها لانها كانت لاتحب ابن عمها -حامد- كانت تكره نظراته لها، كانت تجفل منه، كان تشعر أنه يكرهها

أمَّا عمها هو طيب بسيط كان ثريًّا مثل أبيها لولا تقلبات الزمن وسوء حظه الذى تعثر فى عمله، ضاع رأس ماله، باع أغلب أرضه، ليسد ديونه، ولم يتبقَ إلا مساحة أرض صغيرة يتعيش منها هو وأولاده، ولكنه تحت يده أغلب أرض -جلال- يديرها ويؤجرها وحساب -جلال- معه جارى على مدار العام

وهذه المره التى جاءت فيها أحلام القرية كانت بدون ترتيب مسبق منها، جاءت على حين غِرة بسبب وفاة أمها كما كانت تناديها وكانت بالفعل تحبها وتعزها معزة الأم، فقد كانت الراحلة ذات دين ورِعة، تعلمت الدين من أبيها الذى كان ينصحها وهى طفلة ونشأت وإخوانها يتلقون التعليم الأزهرى، فكانت لها ذاكرة كإسفنجة، تمتص كل ما تسمعه وتحفظه، وكانت تقوم على توجيه أطفال أبنائها وتسدى لهم النصح والإرشاد

وكان لها دور فى إرساء الاستقرار العائلى لجميع أولادها، فكثيرًا ما كانت تقوم بدور المصلح إذا ما نشب خلاف بين أحد أولادها وزوجته

جهـز -فتحـى- السـيارة التـى سـتقل -أحـلام- إلى محطـة القطـار، وهــم فى الطريــق ذرفــت عــبرة عــلى إثــر تذكرهــا للمرحومــة وأنهــا ستعود إلى البلـد مـرة أخـرى للزيـارة ولـن تراهـا وضـع فتحـى يـده عــلى رأســها يســتجديها الصــبر والتجلــد قالــت : لم تشــعرنى يومًــا أنــى ابنــة ضرتهــا التــى أخــذت زوجهــا منهــا ومــن أولاده.!.ضحــك فتحـى وقـال مـن قـال لـك أن أمـك كانـت خصيمـة أحـد منـا كانـت أمـك الراحلـة طيبـه وزواجهـا مـن والـدى كان نصيب ومكتـوب كان جميعنـا يجمعنـا سـقف واحـد! مطبـخ واحـد! :»طبليـة» واحـدة! كان الرضـا يعـم، ولكـن كان لامـى كان دور فى ذلـك، فقـد كانـت طيبـة بمعنـى الكلمــه قلــمَّا تجفــل أمــك منهــا البيتــه ! ولا مــن الاختــلاط معنـا، رحـم الله الاثنـين ورحـم والـدى ودَّعهـا -فتحـى- فى المحطـة وانـصرف وواصلـت هـى السـفر بمفردهـا

***

-٢٢-

ذهب جلال قبل أن يذهب للصُلح إلى -أحلام- كانت الشغالة متواجدة مما دفعها لفتح الباب له بعد إلحاح وهى ترفض قال لها إنه يتمنى أن توافق أن ترجع لعصمته

قالت: كنت أتوقع أن تطلب رؤية- حبيبة-.

قال:حبيبه ليست فى خاطرى كأم -حبيبه-

صدته وتجهم وجهها وعبست عنه وقالت ما بينى وبينك رؤية ابنتك، وفى المرة القادمة اتصل قبل أن تأتى!

قال : للمره الرابعة وأنا أطلب منك العفو لا أرى خطأى لا يستحق العفو أنا أحبك.

قالت: أنت لم تختار زوجة من بادىء الأمر ! أنت اخترت أرض كأرضك التى تحفظها فى نن عينيك!

اخترت أرض أنبتت لك ثمرتك ثم وليت وجهك عن الأرض وعن الثمرة ! كان حرصك على الأرض والمصنع وخضوعك لزوجتك وأهلها أقوى من أى شىء آخر ! أقوى من إنسانة لها أحاسيس ومشاعر أهملتها وهى تتناسيى وتتغافل

عـن حقوقهـا، وعنـد أول محطـه ألقيـت بهـا عنـد أول خـلاف طلقتهـا لم تـع مـا فعلـت، لم تـعِ أنـك تركـت إنسـانة، تركـت مـن أجلـك أهلها وانتقلـت معـك برغبتهـا والحاحهـا كـى تكـن بقربك.أهملتهـا ومـع ذلـك كانـت تحتمـى بانتمائهـا لـك كزوجـه، ثـم توجهـت إليـه ونظرت فى وجهـه وقالـت: طلقتنـى ونسـيت اننـى ليـس لى احـد هنـا جعلـت غضبـك وتحزبـك لأهلـك فقـط! وكأننـى لسـت مـن اهلـك كأننـى لسـت زوجتـك

قـال :سـنعقد مجلـس صُلـح لتهـدأ النفـوس ويعـم السـلام بـين العائلتـين أرغـب أن اكلـم -فتحـى- فى امـر عودتنـا

قالت:لا أرغب أن أحرجك برفضى فلا تفعل

قـال:لم أعـرف حبى لكِ ولم أكتشـف قيمـة فقدانـك إلا عندما بعُدت عنك .

لم تُحر جوابًا وأشاحت بوجهها عنه واتجهت مترجلة بعيدًا عنه

وقبل أن يخرج نظر إلى الشغالة وطلب أن تأتى له -بحبيبه-

حملهـا بـين ذراعيـه واحتضنهـا فى حنـو وقَّبلهـا و ذرفـت عينـاه الدمـوع، وخـرج بعـد أن أخذت»جميلـة «الشـغالة « حبيبـة منه.التـى فلتـت يدهـا مـن يـد الشـغالة وهرعـت جريًـا إلى جـوار أمهـا حيـث تقـف والتصقـت بهـا مثل هِره تتمسـح بالسـاق طالبـه الـدفء والأمان لم تتحمـل -أحـلام- دموعه بعـد أن خرج أنَّبت نفسـها وجدت نفسـها بـين نارين بـين تلبيتهـا وانصياعهـا لندائه الـذى يتـواءم مع مـراد قلبها الـذى يخفـق بحبه وبـين كرامتهـا وجرحها المقروح الذى شـفع لهـا أمام الدمـوع التـى غالبتهـا وانهمـرت منها مـدرارًا

فاقت من لحظات السكون الحارق الذى تزيل خروج -جلال- وفاقت على تقريع ذاتها بذاتها وهى التى قرّرت أن تذهب هى للسعادة وتمسك بتلابيبها! لن تنتظر أحد أن يأتيها بها هو بات بالنسبة لها ماضى لابد من إغلاق صفحته فلن تنسى أنها كانت لعبة فى يده والقى بها عندما ملّها، مجرد أمر آه فى حياته مركونه جانباً لوقت عوزه يأتى ليأخذها وقتما شاء، أو بطن أحبها وأشتاق لها لينبت فيها طفله الذى كان يتوق إليه

نهضت واقفة أحضرت الأوراق والكتب طلبت من -جميله- تُعد لها شايًا كانت قد بدأت فى ترجمه رواية إلى الإنجليزية مما سيدفعها إلى استرجاع وتنشيط الذاكرة وسيضطرها إلى تصفح القاموس للبحث قررت أن تعمل فى أكثر من اتجاه، وكل مبادراتها ستعود بالنفع عليها وعلى مستقبلها المهنى تريد أن تثقل من مستواها اللغوى وتطرقت إلى مواضيع تشمل على ما لم تدرسهُ فى مراحلها التعليمية سواء العام أو الجامعى قررت الاستعانه بحاسوب حديث فجهاز الكمبيوتر العادى لا يملك التقنيات الحديثه طفقت تبحث فى وسائل التواصل ونشرت إعلانات عن نفسها كمترجمة لغة إنجليزية، ولكن كان تحت اسم مُستعار شاركت فى صفحات دور النشر سئمت فى البداية من تلقى إعلاناتها أى اهتمام من قِبل أى أحد سواء مكاتب أو شركات أو أفراد وتلقت كثيرًا من اتصالات الخاص على الفيسبوك ولكن الجميع كانوا ينشدون التعارف والتواصل والصداقة آخذين طلب الترجمة ذريعة لذالك فكلما تشك فى عدم جدية أحد ما تقوم بحظره على الماسنيجر وعلى الفيسبوك وجدت نفسها ستدخل فى دوَّامة ودائرة مُغلقة فتخلّت عن تلك الفكرة لأنها شعرت أنها ولجت أرض متحركة شعرت أنها ستفقد توازنها فى أى لحظة

ولكـن فكـرة التدريـس ترسَّـبت وصـار لهـا جـذور ! لـن تتخلى عن شـيء بدأتـه يحقق لهـا سـعادة أو طموح نبـت داخلها يُشـعرها بكينونتها وأهميـة وجودهـا لدى المحيطـين حولها

تذكـرت صديقـه لهـا كان اسـمها -ابتهـال - أيـام كانـت بالجامعـة كانـت -ابتهـال -ابنـة لرجـل فقـير يعيـش عـلى الكفـاف، ولكنـه كان يُحـب العلم فـأصر على أن تُكمـل ابنته -ابتهـال- تعليمهـا الجامعى بعد مرحلـة الثانـوى العـام، فذكرت لهـا -ابتهـال- أنها تعطـى طلبة دروس خصوصيـة فى بيتهـم المكـون مـن غرفـين وصالـة وحمـام ومطبـخ فكان والدهـا يسـعد بذلـك بالرغـم من أنهـا لا تحصل عـلى مُقابل مـادى على الإطـلاق إلا أنهـا كانـت تقـول أن المقابـل الذى يسـعدنى هو شـعورى أن لى دور فى مسـاعدة الآخريـن فـكان والدهـا بالرغـم مـن ضيـق اليـد والفقـر المتقـع وحياتـه عـلى العمـل اليومـى دون مـورد ثابـت كان يملأ كيـس باللـب والسـودانى ويـوزع عـلى الأطفال أثنـاء تلقيهـم الدروس مـن ابنتـه، فقد كان سـعيد بهـا وفخور وهـى تمنـح الطلبة الشـيء الذى يحبـه وهـو العلـم فكانـت أحـلام فى داخلها تسـخر منهـا وتقـول عليها أنهـا تُبالـغ وظلـت معتقـده ذلـك حتـى ذهبـت معهـا ذات يـوم ورأت بـأم عينيهـا ولَّـما علمت -أحـلام- وقتئـذ أن لها ثلاثـة أخـوة فى مراحل التعليـم المختلفـة، ومنهـم أخيهـا الأكـبر كان فى كليـة تجـارة خارجيـة، وكان فى المسـاء يعمـل فى صيدلية كان يعول مصاريف دراسـته ويسـاعد والـده ! وكذلـك أخيهـا الأكـبر عنها مبـاشرة التحق بطب أسـنان وكان يعمـل فى محـل حلويـات كبـير هـو أيضًـا كان يعـول هـم نفسـه، وكان يعطـى ما يفيـض عن حاجتـه لأمه التـى بدورها تصرفـه فى البيت وتخبر زوجهـا بذالـك ظلـت تلـك الاسره فى غمـرة الكفـاح ولـذة السـعاده ممزوجـه ببعـض الآم وقـوة التحمـل التـى أكسـبها أياهم الصـبر لنيل ما

يصبـوا إليـه كلاَ منهـم وتخـرّج جميـع أخوانهـا واحـد يلى الآخـر وهم فى عـون بعضهـم البعـض وارتقـوا جميعـا لسـلم وظيفـى رفعهـم أجتماعيا وأقتصاديـاَ وأراحـوا والدهـم الكالح على مـدى الزمن من عنـاء العمل بعـد الكِـبر وتيقنـت أحلام

أن صديقتهـا -ابتهـال -عرفـت السـعاده مـن قبـل أن تعرفهـا هـى منـذ سـنين كثـيره مـرت فى الوقـت الـذى كانـت تعتقـد هـى أن السـعادة هـى القـرب مـن رجُـل أوحبيـب وحسـب وكانـت صديقتها -ابتهـال- هـى الصديقـة الوحيـدة التـى ظلـت عـلى اتصـال بأحـلام بـل وهـى الوحيـدة التـى جـاءت وحـين دعتهـا لزفافهـا

***

-٢٣-

عندما جلس جلال -مع نفسه وراجع أحداث العركه تيقن أن ابن عم العمدة الذى نصحه أن يشكوا أبناء الحاج- مدبولى - للشرطة كان له كل الحق بل وانه قطَّب على شتى الاحتمالات التى تجلب المشاكل وتجنب الضرر بين العائلتين حين أبلغ الشرطة وأنه لم يكن يقصد الوقيعة، بل كان يقصد كبح جماح التعصب وتجدد العراك بتدخل الشرطة والقانون .

***

-٢٤-

حدث -لطاهر- والد -نوال- ما لم يُحسب له حساب وانكشف طعونه فى فساد مالى، فتم تدبير كمين له وهو يتقاضى رشوة واتهام آخر بتكسبه من منصبه بطرق غير شرعية شتى

دفع مبالغ طائلة لمحامى كبير حتى انتهت القضية وشعر -جلال- أن جبل من الجليد كان جاثم على صدره وبدأ فى الا نصهار رويدًا رويدًا وانخفض صوت -طاهر- بيه الذى كان يملأ الأرجاء! حتى أنه كاد أن يعتزل الخروج كما اعتزل النادى

أمَّا نوال فقد انكسرت شوكتها وهدأت من بعد تلوث سُمعة والدها، انتشر الخبر كالبرق، ولاكت سيرته الألسن من جاد عليهم بعون منصبه ومن مقتوه حين أشاح بوجهه عنهم ورفض مساعدتهم كان الجميع يخشى جانبه فقد كان سليط اللسان متزمت، مكث دهرًا محتمى بمنصبه حتى من ساعدهم وجاملهم بقضاء حوائجهم مرتكنا على كلمته المسموعة كعصا سحرية، خذلوه !.وأداروا له ظهورهم بل وتنكروا له كأنهم لم يعرفوه البتة فمهما أطعمت الذئاب فلا أمان لغدرها إذا ما واتتها فرصة للغدر!.

جلال بدأ يعتذر عن موعد الغداء المقدس الذى لم يتغيب عنه إلا إذا كان فى سفر وإذا طلبت -نوال- الخروج للسهر خارج البيت تعلل -جلال- بالصُداع والإرهاق، وقد كان يذهب خاضعًا وداخله حنق، والآن شعر أنه أمسك بزمام البيت تمكن من عجلة القيادة! كان داخله القائد يتذمر على الدوام بصمت ! ولكن لم يفصح قط كانت مصالحه المادية التى يريد نيلها تطغى على أن تنطق رجولته بكلمة لا ظل صامت! تذيب المصالح والوصولية شخصيته التى تتلاشى! تتبخر! مادام اشترى فدان أرض جديد فهو يسير فى الدرب ويسلك الطريق الصحيح هكذا كانت حياته كان -طاهر - يفتح سُبل جلب المال لـ -جلال -مدرارًا طالما أنه سينال حظه منها فقط كان -جلال- يُنفذ أفكار حماه- طاهر حرفيًا وكان طاهر بحكم منصبه يعلم نواقص السوق ويعلم الأشياء التى ستغُرق الأسواق والبضائع التى سيرتفع سعرها نتيجة نُدرتها المتوقعه فتوسَّع -جلال- فى عمله وتنوَّعت التجاره بجوار إنتاج مصنعه وقام باستئجار مخزن كبير خاص بتجارته التى يديرها وربحها لنفسه بعيدًا عن شركاء المصنع

كان -طاهر- يُفيد جلال بمنصبه فقد كان يجد له السوق الذى يستوعب نتاج مصنعه الذى لم يصرف عن طريق تبادل المنافع فلم يعانى من أى كساد أو تكدس على الإطلاق، وما أن حدث لـ -طاهر- ما حدث من حيث اكتشاف فساده حتى تعرض لأزمة قلبية كثيرًا ما كان يعانى من مرض القلب لم يتركه -جلال-طيلة عشرة أيام وهو بالعناية المركزة، كان يتناوب على العناية به هو و-نوال- أظهر جلال حُبه له وحرصهُ على حياته بين الحين والآخر يأتى بأكبر استشاريين فى أمراض القلب

كان هـم -جـلال- أن تـعِ -نـوال- أنـه يقـف بجانبها هـى ووالدها بالرغـم مـن المشـادة التى نشـبت بينهم فى الفـترة الأخيرة حتى يُشـعرها أنـه قـوى وتأديتـه لأى واجـب لا يعطلـه خـلاف مهـما اشـتدت درجـة هـذا الخـلاف، وأنه بأخلاقـه فـوق أى خلاف.

وانفـض الجميـع مـن حولـه لم يتبـق مـن يسـأل عنـه ويحوطـه بالـود والرعايـه مـن بعـد خروجـه مـن الإنعـاش والتخفيـف عنـه إلا ابنتـه -نـوال- وزوجهـا -جـلال - كانـت تقسّـم وقتهـا مـا بين الذهـاب له والاطمئنـان عليـه وتوصيـه الخـادم لرعايتـه وبـين بيتها ورعايـة -ابنهم -نبيـل- صاحـب المـرض الـذى بـات يؤرقهـم وجعـل النـوم يجافيهـم مـع أنـه خفيـف وحالتـه غـير مقلقـه ولـو أقلعـوا عـن مظاهـر الاهتمام الزائـد بـه لبـدى طبيعيًا ولكـن نوبات الـصرع لا وقت لها أمَّـا -جلال- كان ينصـب جسر بـرى كل يـوم مابـين المصنـع والذهـاب إلى طاهـر للاطمئنـان عليـه أغلب من كانـوا يتملقون لـ -طاهر هجـروه! صاروا أشـبه بنحلـه امتصـت الرحيق مـن زهرة وحينـما نفذ الرحيـق صارت لا تفـرق بـين الزهـرة والغُصن.

بعـد أيـام الحـداد أخبرهـا- جلال-عـلى الديـن المسـتحق عليـه لوالدهـا وأخبرهـا أنـه سـيدبر لهـا قيمـة الديـن وسـيعطيها إيّـاه كانـت -نـوال - عـلى علـم مسـبق بذالـك فقـد أخبرهـا والدهـا بذالـك قبـل أن يمـوت لم تُشـعر -نـوال -جـلال انهـا سـتتغاضى عـن هذا المـال، ولم تبـدى الاهتـمام اللافـت للنظـر بحاجتهـا للمال إنـما هى أومأت برأسـها بقبولهـا كلام -جـلال- وقـد جُبلـت -نـوال- عـلى حُـب السـيطرة والقيـادة المصحـوب بعجرفـة جوفاء، كان جـلال فى أغلـب حياته معها منـذ زواجهـما وهـو يتعايش معهـا فأسـلوبها فى التعامل مع مـن حولها لم

يـروق له منـذ زواجهـما يومًـا بعيدًا عـن حُـب الأرض والمـال والبحث عـن الإنجـاب كانت قـوة خفيـة تدفع -جـلال- إلى البحث عـما ينقصه وقـد كان ينقصـه أهـم شـى ء الشـعور بالسـعادة المفتقـدة الحـب الـذى لم يألفـه فى -نـوال-إلا أيامـه الأولى فى شـهر العسـل الأيـام التـى كانت مُزيلـة أو متبوعـة بأيـام الخطوبـة حيـث كل طـرف يُظهـر للآخـر أنه فى قمـة المثاليـة، وأنـه بـلا عيـوب أو أخطاء .

بعـد انتهـاء الحِـداد وقـد صـار الحُـزن عـلى والدهـا فى طى النسـيان زاد خـروج -نـوال - مـن البيـت، وقـد لاحـظ -جـلال- ذلـك فلفت انتباهها فدافعـت عـن نفسـها واتهمته أنـه لا يثق فيهـا فذكرهـا بإهمالها الظاهـر لــ -نبيل- وتعللت أن نبيل لا ينقصه شـىء ومعـه خادم خاص بـه يُلازمـه بصفـة مسـتمرة احتدم الخـلاف بينهـم لدرجة علـو الصوت وانتابـت نبيـل نوبـة الصرع عـلى أثر شـجارهما انشـغلوا بــ -نبيل- عن خلافاتهـما وطفـق كل منهـما ينظـر للآخـر عـلى أنـه السـبب فى ذلـك نظـرات ممزوجـه ما بـين التأنيب والوعيـد ولكن -جلال- لا يسـمح أن يكـن فى وادى وزوجتـه فى وادى آخـر فى الماضى كان يتغـاضى عن دوره فـكل شـىء كان عـادى ولم يخرج عـن المألوف بدّلـت -نوال- سـيارتها «النيفـا» بسـيارة «بى أم دبليـوا» دون أن تأخذ رأيه أو تستشـيره، وعندما عاتبهـا عـلى ذلـك قالت:أنهـا أموالهـا تفعل بهـا مـا تشـاء دون أن ترجع لأحـد! أوغـرت صـدره واهتـاج وانفعـل عليهـا، ثـم طلب منهـا عدم الخـروج إلا بإذنـه ضحِكـت بسـخرية وقالـت له:هـذا الـكلام توجهـه للفلاحـة التـى كنت .

ولكنـه دافع عـن- أحلام- وقـال من آداب الحـوار عند أبنـاء الناس أن لا يغتابـوا الغائب .

كان ابـن عمهـا -حمدى-العائـد مـن أوروبـا والـذى تخلَّـق بأخلاق وعـادات الغـرب يأتـى كل يوم لزيـارة -نـوال- كان يصغُر نـوال بأربع سـنين أو خمسـة كان -جـلال- يضجـر ويتأفـف مـن رؤيتـه فى أول مرة لزيارتـه رحـب بـه جـلال، ولكـن زياراتـه باتـت شـبه يوميـة وخانقة- لجـلال -حتـى أن نبيـل - ضـاق بـه زرعًـا وهـو يأتـى كل يـوم ليُسـلم عليـه ويذكـره أنـه « خاله».

***

-٢٥-

لم يشعر -جلال- بحرمانه من الأبناء فهو مشبّع بشعور الأبوة نحو أبناء أخيه فهو يحبهم ويضُمهم فى قلبه موضِع الأبناء وله أيضًا ابن ! وإن كان مريضًا ! ولكنه أروى جانب الأبوّه لديه فى البدايه كان يعتقد أنه سيتزوج من أجل الإنجاب فى المُقام الأول لم يكن يعلم أن داخله يبحث عن شىء ما ينقصه، هو لم يعرفه! ولكن كان قلبه يعِ ويدرك ذلك لم يعلم أنه كان مدفوعًا بقوده داخليه تُجبره على إكمالَ نواقصها، فبعد أن انفصل عن -أحلام- ما عاد يفرق معه أن رأى ابنته أم لا.، ولكنه كان يتلهف لرؤية -أحلام- التى تمنّعت وركبت جواد الصد والهجر والعند ولم توافق أن تعود

فقد انتظرت عاما أن يأتيها ولكنه لم يأتى

كان الإنجاب الذريعة التى جعلت -نوال- تمرر زواجه من- أحلام- وقتئذ فلم يكن يملك الحريه الكامله فى ادارة شئون حياته فهو من جعل حُريته منقوصه كان -جلال- لا يشعر بسعاده مطلقا فى تلك الاجواء التى كانت تحيطه كانت نوال- تُسيطر عليه بل تُعد عليه أنفاسه.كان عزاءهُ الوحيد رؤية ابنه - نبيل- الذى ورث كل صفاته ورث الخجل والانطوائية وقلِة الكلام وفوق ذلك ورث الصرع من عائلة أمه

كان- جلال- يحمد الله ويتمنى له الشفاء فى كل وقت وحين تمنى -جلال- أن تكبر -حبيبه- بالقُرب من أخيها -نبيل- ولكن -نوال- وغيرتها وصلفها سيشكلان جدار يحول دون تحقيق ذالك. لقد تخيّل أن يعيشوا جميعًا فى بيت واحد تحت سقف واحد هذا الوضع قد توافق عليه -أحلام- لكونها نشأت فى بيت مُكتظ بالأخوه وأبناء الأخوة ونساء أخوانها علاوة على شخصية أحلام الهادئة المتواضعة الذى فقد هو القدرة والوعى فى الحفاظ عليها كان مدفوعا بقوه المداومه والثبات والعاده على نيل ثقة ورضا -طاهر- ونيل رضها -نوال- والغضب الذى غضبه و غيرتة على أهله بسبب العِراك، وكانت هى كبش الفداء ،ولكنه كان يعلم أنه سيحاول يومًا أن يعود إليها، كان يثق أنها من ستكمل معه حياته سواء بـ -نوال- معه أو أن تذهب نوال فى سلام.

يوم قدّم لها البيت هديه كانت لحظه حميميه وحبُ متدفق منه نحوها كان يثق أن البيت لها أو له لا ولن تفرق معهَ فى شىء فقد رأى فيها جمال روح طاب له قلبه وانشرح به صدره ولكن تلك الروح كانت ممزوجه فى ذات الوقت بقوه دفاع ذاتى تأبى الخضوع المذِل وتغار على الكرامة وعِزة النفْس فقد أظهرت من جانب اللين مداه ولكن لم يلقَ ما قدمته له إلا الجحود من قِبله والنكران والهجر فكان لِزاما على تلك القوة أن تقوم بعملها فى وقتها لم تسمح لقلبها أن يجعلها لُعبه فى يد أحد حتى ولو كان من أحبت، وهى فى البدايه التى اختارت بالعقل وليس بالقلب، ولكنها أحبته! أحبته بكل جوارحها أحبته بلا عقل! ولكن كرامتها تأبى الذل والمهانة رفضت أن تُرضى قلبها وتُهين

كرامتها وكبرياءها حتى حين ثار لأهله وشتم أهلها ردت عليه باللاوعى كانت سهلة العريكة لأبعد مدى، ولكن لكل شيء نهايه تقاس به

ولكل كيل حجم أن زاد الحجم عن فضائه طفح الكيل، كانت- أحلام- فى بيت والدها مُدللة، نشأتها يتيمة الأم وموت والدها وهى طفلة تكاد تمشى، جعل أخيها فتحى - وهو الرجل بمعنى الكلمة يشملها بحنو مبالغ فيه

لم يسمح لها أن تعمل أى شيء عندما كُبرت حتى عندما التحقت بالمدرسه ودرجت فى السُلم التعليمى كان معها فى كل خطوه يدعمها ماديًا ومعنويًا ؟ بالرغم من اعتراض إخوانها على عزمها تكمِلة التعليم بعد الشهادة الإعدادية التى تفوقت فيها ولكن- فتحى - كان معها ودعمها، أكملت تعليمها الثانوى والجامعى!.

لم يسمح يومًا لها أن تقرب زريبة المواشى للتنظيف مع باقى نساء البيت بالرغم من الهمز واللمز واللوم على التفريق بينها وبين باقى النساء فى البيت كان يقول لهنَّ جميعًا إنها صاحبة حِصة فى كل شيء، وكان يرفع من شأنها بين نساء البيت كونها كانت يتيمة، وحافظ لها على كل شيء كما سبق ذكر ذلك

فنشأت مرفهة، تحيا حياة ناعمة فى وسط من حولها من نساء البيت ترزحن فى العمل ما بين العجْن والخبْز والتنظيف

ولكنها تعلمت الطبخ كما يجب أن يكون نشأت من بين نساء البيت لا تفقه شيء من أعمال الفلاحات.

رسمت لنفسها مستقبل وبيت مستقبلى نظيف لامواشى، لا بط أو دواجن حلُمت بحياه وبيت نظيف، أرضيته سيراميك أو بلاط نفيس الثمن بحوائط مصبوغه بالألوان تختارها بتنسيق مع من سترتبط به بستائر مخملية، وغرفه للأطفال، وغرفه للطعام كانت ترفض أجواء بيت العائلة الريفى البسيط المتوائم مع طبيعة العيش والعمل والحياه فى القُرى أرادت أن تعيش فى بيتها الخيالى الذى بنته وخططتهُ

عندما علمت بخبر تقدم جلال لها وثقت أنها لاذت ببيت الأحلام الذى الذى يراود أحلامها

***

-٢٦-

عـاد جـلال إلى القرية، وقد انتابـه قلق لعدم البـت فى موضوع مجلس الصُلـح الـذى عـرض فكرتـه عـلى -فخـرى - ولكـن فخـرى لم يوفـق لذالـك بسـبب إعـراض فتحـى وأخوتـه لأنهـم هـم مـن تـم الاعتـداء عليهـم أولا وهـم مـن تـم أغـراق ارضهـم وفسـاد المحصـول لديهـم آنـذاك عـلاوة عـلى انفصـال -جلال-عـن -أحـلام- كل ذلـك كان له وقـع سـيىء داخـل -فتحـى- مـازال توابع تلـك العركـة لها أثـر داخله وإبـلاغ -جـلال- الشرطـة لحبـس ابنـه - يونـس- جعـل -فتحـى- يضمُـر -لجـلال كل ذلـك فقـد كان فتحـى- يكـن لهـم الاحـترام وقـد سـمى ابنـه -يونـس- اقتـداءً بفخـرى الـذى كان ابنـه اسـمه -يونس-

ذهـب -جـلال- إلى -فتحـى - وجلـس معـه ومـع أخوتـه فى بيـت -فتحـى-.

قـال جـلال :أنـا اخـترت الوقـت المناسـب مـع أن ابننـا مـن كان سـيموت إلا أن البـادىء بالخطـأ كان أبنـاء أخـى لا أُنكر ذلـك انتظرت عـام كامـل ونصـف! حتـى تهـدأ النفـوس ويذهـب الغضـب وتلـين القلـوب أنـا أُخلـص النيـه لله أن نعود أخوة كـما كنا لا عِـراك لا ضغينه، لا جفـاء صمـت هنهـه ثـم أكمـل قائلاً:

الشباب وبحكم الطبيعة ونظام الحياة هم من سيكونوا فى وجه المدفع فهم أكثر حركة وأكثر احتكاكًا وتعاملا ؛ ولأن يكن الصلح متواجد فلن تكف المشاكل، ولن يخمد العِراك.

المرة الماضية سلَّم الله أن تُزهق أرواح فيما بعد لا نعلم ماذا يمكن أن يحدث

قال -فتحى - فى عتاب أنت وقتئذ أبلغت الشرطة وكنت تنوى أن تحبس ابنى! قال -جلال- بلين وتودد:

لا يا -فتحى - أنا أحترمك وأحبك فى آنٍ واحدٍ وقد تلمس أنت ذلك ! ولكن إبلاغ الشرطة كان ليأخذ الجميع هُدنة وننشغل بشىء آخر غير التفنن فى اختلاق عِراك جديد، وحينما طلبت منى التنازل عن القضية تنازلنا عن طيب خاطر

كان فتحى سيقول وأحلام التى طلقتها

ولكنه تراجع ولم يتفوه بشىء يخص -أحلام- شعر أنه سيقلل من شأن أخته عندما تلاك سيرتها فى هذا التوقيت نظر -فتحى- لأخوته ووجد فى قسماتهم الرضا لما قاله -جلال- فوافق -فتحى- وأبرموا اتفاق أن يكن الصلح فى بيت العمده لبتر حساسيه من يجب أن يذهب لمن هكذا قال فتحى

ولكن -جلال-قال: لاتفرِق معى فنحن ننوى أن نعود أخوه وأنت أخى الأكبر ولا أستحى أن آتى لك معتذرًا، كان جلال -يجيد الكلام بحكم عمله وكثرة احتكاكه بالكثير من الناس فى مجال عمله سواء بالمصنع أو بالعملاء.

أثناء الاتفاق تجلى إلى مخيلة -جلال- ابن أخيه سيد جاءه بجلبابه الملوث بصبغة الصدأ التى علقت به وهو يلقى السُم بالخزان اتهم فى خاطره سيد بفعل ذلك أيضًا هو من فعلها على غفلة من أخيه يونس هكذا حدث -جلال-نفسه هو يعلم أن أبناء أخية من أغرقوا أرض -فتحى- ولكن من تحديدًا لا يعلم أحد توزع الاتهام على إهمال ورعونه - سيد -ويونس- فهما من كانا يرويان الأرض وقتئذ لم ينكِروا أنهم السبب، ولكن كان عن غير قصد قالوا إن الماء زاد على الحد بينهم وبين أرض فتحى ولم يتصرف فيما بقى بلا ماء بل تُركت حتى علت المياه فوق الحد الفاصل مع أرض -فتحى - وتسربت فى أرض -فتحى -فأغرقتها

فى الخميس التالى تم الاجتماع فى بيت فتحى من بعد العصر وامتلأ الشارع ب «الدكك والكنب» التى شغرتها الناس ودارت صوانى الشاى والشربات، وعانق -فخرى و-جلال- -فتحى واخوته وعاد الشباب فى الطرفين مبتهجين فرِحين على انتهاء قطيعة طويلة كانت بالصعبة والمريرة على الطرفين، فما أسرع قلوب الشباب الملتهِبة على التناسى والصُلح وقد كان كل طرف مترقب للطرف الآخر ومتوجس منه خيفة.

شعر -جلال- أن طريق العوده إلى -أحلام- الآن صار أكثر سهولة من ذى قبل ومُمهد لأن يطرقه ولكن لم يآن الوقت بعد

بعد انتهاء الصُلح أنفرد -جلال-بابن أخيه سيد.قال له: من تعمد إغراق أرض عمك-فتحى-

قال :لم أفعل أى شىء أخر

أتحدث عن إغراق أرض عمك -فتحى- قالها بصوتٍ عالٍ مصحوب بالحنق والعصبية

قال سيد:

أنا من تعمدت ذلك ! قد غافلت - يونس- وهو منهك فى العمل وقطعت المياه فى أرض -فتحى- كنت أكرههم لشجارهم الدائم مع أخوالى، وكنت أتمنى أن يفسَد محصولهم فكل عام محصولهم يفوق كل المحاصيل ويظَلوا طيلة العام يتباهون بجوده أرضهم وأنهم فلاحون حقيقيون يُجيدون الزراعة والفلاحة! أردت أن أُحسرهم عام كامل حتى يكفوا عن المباهاة والغيظ ووغر صدور من حولهم بجودة أرضهِم

-جلال- اعتبرها حادثة قديمة حتى أنها سبقت تسمم المواشى، أمَّا سيد فقد أقسم لـ -جلال- أنه لم يفعل أى شىء ولن يفعل أى خطأ كما وعده من قبل

صدق حدس -جلال- أنه الفاعل -سيد- والتمس لأبناء فتحى دفاعهم عن فساد محصولهم، وحمد الله أن كل تلك المشاكل العالقه مع أبناء الحاج مدبولى قد انتهت بسلام

***

-٢٧-

صباح السبت عاد -جلال- إلى القاهره، ذهب إلى المصنع مباشرة ولم يتصل ب-نوال- لا عن قصد أو من غير قصد إنما لم يخطر بباله ركن إلى أنه سيُلقى نظرة خاطفة لسير العمل وكان ينتوى العوده إلى البيت على عجل فهو يشعر بحاجته الشديدة إلى النوم خلال يومى الصُلح كان نومه متقطع اضطر إلى المكوث حتى اقترب موعد انصرافه اليومى كان ثمة مشاكل مفاجئة عكفوا على حلها أثناء اجتماع جلال بالشركاء تم حل كل مشاكل العمل العالقة فى غيابه

عاد جلال واتجه إلى -نبيل - واطمئن عليه، ولكنه وجد على ملامح -نبيل- مسحة خُزن بادره -جلال- بالسؤال عن سبب حُزنه نفرت من -نبيل - دمعة وجب قلب -جلال- لها فنهض من مقعدة وجلس بجانب السرير قال -نبيل -خالوا -حمدى - !قال له -جلال- ما به ؟! قال-نبيل-: لا أرغب أن يأتى هُنا لا أرغب أن يأتى لبيتنا مرة أخرى أراد -جلال- أن يوضح أنه مُلِم بكل ما يحدث فقال :(إنه ابن عم أمك! أيام وسيعود لأوروبا ولن نراه مرة أخرى)

سأل جلال -نبيل -عن أمه فقال أنها خرجت معه تقنع جلال بالهدوء المُرتجل حتى لا يجلب أى انفعال سلبى يجلب عند نبيل نوبة الصرع، ولكن فى تلك اللحظات التى يُلطف فيها

-جلال- ملاحظة -نبيل -لخروج أمه مع -حمدى- وتحاشى -جلال أن يمتقع وجهه أمام -نبيل- وابتسم وتركه وانصرف، ولكنهُ يحمل بين حناياه قلب يختلِج ثورة وطيش ونزق بالرغم من احتياج جسمه للنوم إلا أن التفكير عصف بكل هدوء يستدعى النوم ظل -جلال- على حاله واحده تشوبهُ هالة من الغضب والترقب لمجيئها يزرع الغُرفه جيئة وذهابًا يكور يده اليمنى ويضربها فى بطن يده اليسرى سمِع وقع خطواتها لم يذهب ليتلقاها حتى لا يُلفت نظر -نبيل - دخلت تطمئن على- نبيل - مثًل -نبيل - أنه يغط فى نوم عميق فنبيل - بدأ يجفل منها ويكره أفعالها الأخيرة .وكثرة جلوسها مع -حمدى- وضحكاتها المرتفعةِ الصوت التى تُجلجل والتى لا يرقبها منها فى حتى حضور والده! رأها سعيده ومرحه ومتغيره على غير العاده تدفق من- نبيل ذاك الشبل المريض، نهر متدفق من الحِميه والغيرة والتعصب داخله شعور مركب من حُبه لامه وخوفه منها شعور ينتابه لأول مرة كأن طفره حلت بها أحزنته بقدر ما أسعدتها مسحت رأس -نبيل- بيدها وطبعت على جبينه قُبله تركته ودخلت وجدت -جلال- واقف مترقب وصولها ! درست وجهه وحركاته القلقة وهو يطرق برأسه إلى الأرض بعد برهة من الصمت أعقبها صوت رزين قال:ةأين كنتِ ! أراد كبح جماح التعصب حتى لا يترك العنان لارتفاع صوته فيسمع -نبيل- تفاصيل العراك قالت :كنت مع -حمدى-(تناولنا الغداء وقمنا بجولة تسوق كان حمدى فى حاجه لبعض الملابس).قال و-نبيل -أبنك؟ أطمئننتى أنه تناول غداءه مثلك.؟!.قالت :برهام معه بالطبع سخن له وأكل!

قال لها:حمدى لا يدخل بيتى بعد ذالك

قالت:أنت تختلق المشاكل لأتناسى ما عليك لى من مال احتاج للمبلغ فى أقرب وقت

قال لها:(ما الذى تقولينه؟ولما تغيرين الكلام)

!قالت :كَونى زوجتك لا يمنعنى ذلك أن أطالبك بمالى!

قال لها : خلال أيام سيكون مالك عندك، ولكن حمدى لا يدخُل بيتى مرة أخرى

قالت حمدى يدخل البيت فى أى وقت ! من الواضح نسيانك أن البيت بيتى ومعى العقد ولن تنكر لانك لاتكذب!

أصاب -جلال -ذهول- وفجأ! فقد كتب لها البيت بالفعل، بيعًا وشراءً، ولكنه لم يأخذ الثمن كان دافع ذلك ارضاءً لها، لأن البيت الآخر باسم طليقته -أحلام-هو كان يثق عندما كتب البيت الآخر لأحلام أنه يستطيع استرداده أو بيعه فى أى وقت. هو نفسه فعل ذلك وثقته فى أحلام لاحدود لها، بالرغم من الفترة البسيطة التى عاشها معها إلا أنه كان يرى فيها طبعًا جميلاً وروحًا صافية هو لايدرى وقتئذ لما فعل ذلك، وبالرغم من تبريرات أحلام وسؤالها الدائم لنفسها «لما كتب لى البيت « حتى أن الجانب الأكبر من الحقيقة فى شأن البيت مطمور لا يعرف كنهه إلا -جلال-

طُعن -جلال- على حين غِرة وضح له جليًا أنه لم يعرف زوجته على حقيقتها البتة لم يكن يتوقع أن تُلمْح له أنه مُعرض للطرد من البيت وفى أى لحظة رمق بعين الحذر ما سيحدث لأبنه -نبيل- أن

لم يتمالك نفسه ويستدعى رباطة جأشه تلفن إلى سكرتيرته أن تتصل بأى سمسار ليبحث له عن شقه مفروشه فى غضون أيام

بعد أن طالعته بحقيقة ملكيتها للبيت عادت وأكدت له حاجتها للمال، أصل دين والدها الراحل عنده ثم طلبت منه توقيع على إذن سفرها لأوروبا، وكان قد رفض من قبل ولكنها جددت الطلب، لتُصعِّد تفاقم الخلافات عن قصد، هى فقط من تعلم غوره فلما رأته يُعارض طلبها ويرفضه طلبت منه الطلاق، وألقت بزواج ناجح دام لأكثر من سبعة عشر عامًا تحت عتبات العِند والغضب وصُدم-جلال- مرة أخرى ولكن كان وقع الصدمه خفيف لقرب الوقت بين تلك الصدمه وصدمة تلميحها له وتصريحها أن البيت لها، ليس من حقه أن يحدد من يأتى ومن يذهب بل هى فقط من يحدد ذلك جمع ملابس واحتياجات أسبوع فى حقيبة وجمع كل الأوراق التى بالمكتب لم يتحدث معها بعد أن وضع الحقيبة قرب باب البيت واستدعى البواب يحملها للسيارة وقف مُترددًا هل يدخل ليرى -نبيل- ولكن -نبيل كان مستيقظاً وسمع كل شى ء لم يكن صرعه من النوع الخطير ولكنه كان يُصرع

جرى نبيل وارتمى فى حُضن والده، ترجاه ألا يذهب، ولكن - جلال حاول أن ينزل إلى مستوى فهمه ليقنعه أنه لن يذهب بعيدًا وأنه سيكن قريباَ منه فى أى وقت يحتاجه فيه ولكن -نبيل -تشبث بوالده وقال: «خُذنى معك»سمعت نوال حوار- نبيل- مع -جلال- فلم تُقدر شجن لحظات الفُراق والعواطف المتأججه والكلمات المرتجله التى قد تكن من باب المجاملة

وجبران الخاطر فقالت -نوال- ل-نبيل- مع الف سلامه طالما هو أغلى عليك منى! صدمه ثالثه لم يتوقع تلك السهوله فى تفريط أم عن ابنها مسح -جلال- على رأس -نبيل - وقال له أن أُمك سترعاك أكثر منى، أنا أغلب أوقات اليوم بالمصنع وهى أقدر على رعايتك منى أشتم- جلال- رائحة شىء غير طبيعى لم يجد فى حياتهم إلا هذا الدخيل الذى يحيا حياه بوهيميه هذا الدخيل الذى جاء من أصقاع أوروبا ليفتت تجمع أُسرة قائم منذ سنين بلا تفرق أو خلاف يدعوا لو يصل للانفصال أعتقد -جلال-فى نفسه :أنه حُب جديد فى حياتها حب قوى ومدفوع بإراده قوية أن تُنجز ما فى مقدورها لتلوذ بهذا الدخيل فى وقت وجيز وألقت كل شىء فى سبيله عرض الحائط !.فهو سيعود إلى أوروبا وقد ينسى وينساها هى نست الحب وتلاشت لديها أى مشاعر نحو -جلال- من فترة وهو أيضًا، ولكنه بحكم أنه رجل استطاع أن يلج بستان الغرام ولاذ بزهرة جميلة بعض الوقت وتركها! ولكنها لم تزوى بعد فى عين فؤاده، وما زال أريجها عالق بوجدانه وبه حسرة دائمة ملازمة فؤاده

وقد كان هو من فرط فيها تحت ضغوط شتى، ولكنه كان على غير صواب، أمَّا نوال فشعرت أنها يُنظر إليها على أنها أنثى غير كاملة منذ فقدت القدرة على الإنجاب مرة أخرى وإصرارها على الحياة مع -جلال- دون أن تغير من تسلطها وصلفها وتحكماتها ونظرتها للآخرين بنظرة تحتية جعلته يبحث فيها عن صفة يحبها غير جمالها لم يجد، وهذا أدعى لفتور الود والمحبة

ذهب -جلال- إلى أخته- شريفة- لم يُصرح لها بحقيقة ما حدث بينه وبين -نوال- بل قال لها» خلاف عارض وسوء تفاهم وقال لها يومين وسيعود إلى» بيته».

عاد إلى البلد ليبيع أرض ويسدد ما عليه كانت -نوال - تعلم أنه سيفعل ذلك، كانت فرِحة من داخلها لأنها ستُجبره على فعل ما يكره

أثناء عودته وهو فى الطريق استعرض شريط حياته، استعرض أيام نجاحاته فى العمل ونجاح المصنع

ولكنه لم ينسى حماه واذلاله له والتنازلات التى قدمها من رجولته وحميته ورضوخه لتسلط زوجته من أجل إرضاء حماه الذى كثيرًا ما ساعده فى العمل لينجح

استعرض يوم زواجه وسعادته واستعرض لحظات حُزنه وسط الجمع المهول القادم لزفافه وإن لم يكن من أجله بل كان من أجل حماه، ولكن لا يوجد أحد فى كل هذا الجمع يخصه من قريب أو يمت له بصله

استعرض عزوته وأهله وأخيه وأبناء أخيه واستعرض أيضًا منظر- سيد- ابن أخيه الذى سمّم المواشى وأفسد محصول -جاره -فتحى-

وأراد عدم إتمام زواجه من -أحلام- بأختلاق أكاذيب مرتجله لمجرد عداءات قديمة بين أخواله وعائلة الحاج مدبولى وهى عائلة -أحلام-

استعرض كل قيراط اشتراه كان يدفع مقابله من تعبه وسهره وجهده وتنازله عن الكثير من المبادئ التى كان يجب أن يتمسك بها استعرض زواجه بأحلامه وأيامه القليلة معاها التى وضعها فى مخيلته إنها كانت أيام فى الجنة، استعرض فى خياله كيف أنه فرط فيها بسهولة تحت ضغوط إرضاء صِهره وابنته وفى سبيل إرضاء أخيه وغيرته وحميته على عائلته زج بها هى وكانت هى كبش الفداء كم خسرتك يا أحلام»هكذا كان يقولها لنفسه»

عزم على تحرير نفسه عزم على بيع كل الأرض التى تكفى للدِين ولو أضطر لبيع جميع أرضه تمنى لو يتنازل عن كل أرضه شرط أن تعود له أحلام رخصت فى عينه الأرض بقدر تتوقه وحنينه لعودة- جلال - المفتقد -جلال- المعتد بنفسه منذ الصغر أراد التفريط فى الأرض ولكن الأرض أبت ذلك! بمجرد وصوله وبعد تِرحاب -أخيه -فخرى- به واحتفال الجميع بقدومه قال له فخرى أن الأرض القريبة من البلد جاء الكثير ليشترى منها أرضًا للبناء ومعروض عليها مبالغ خيالية فقد زحف العمران وضاقت الأرض فى القرى لرغبة الجميع فى امتلاك بيت خاص

لا يعتمد أهل الريف على البيوت المؤجرة أو العقارات التى تحوى شقق للإيجار إلا فى أضيق الحدود بل شبه منعدِمة فى الريف هكذا تم حل كُل مشاكل جلال المالية الشائكة، واستطاع أن يسد دين -نوال- وأصر أن يشترى شقه كبيره تمليك وسط القاهره.

كانت -نوال- تعتقد أنها هزمته ولم تعلم أنها أنقذته ليجد نفسه! وما زالت أرضه بمساحتها الشاسعة كما هى ولولا شراءه الشقة لاشترى بثمن «الشقة» ضعف المساحة التى باعها من أرض زراعية

أخـرى ولكنـه فضـل أن يكـن لـه بيته الخـاص طالما نُسـل مـن بيته تحت غطـاء النعومة والدلال والاسـتعطاف حـين بذلت مروءته مـا طُلب منه

فبقـدر مـا صـدر مـن -نـوال- مـن انحطـاط ربـما كان مطمـور فيها وبعـث فيـه الـروح مـوت والدهـا وقـد كانـت تخشـى جانبـه بقـدر مـا سـعِد بخلـو حياته فيـما بعد من -نـوال- بتسـلطها وصلفِها سـيتخلص منهـا إلى الأبـد سـتكون حيـاه بـلا تنغيـص أو تأنيـب ومحاسـبه على كل نفـس يتنفسـه، أو راوده حلـم بمسـتقبله فى ظـل- أحـلام-.

-٢٨-

بعد أن تخلص من همْ مبلغ دين -نوال- الذى كان مستحق عليه انتقل إلى «شقة» مفروشة، لم يمكث عند أخته كثيرًا كان يشعر بثقل نفسه كضيف قد طالت فترة إقامته وأن كانت -شريفه- تتمنى بقاءه فقد امتلأت التلاجا فى فترة وجوده من كل الخيرات، كان سخى لأبعد الحدود ليكن مرحبًا به هكذا كانت تلك قناعته بدأت -نوال- تُلح فى طلب الطلاق وهو يماطل هو لا يلوى على وجودها فى حياته من شىء هى أصبحت بالنسبه له كارت محروق ولكن طبيعته كريفى من الصعب أن يُسلِّم للهزيمة هى تريد الطلاق وسريعًا يبدو أنها ستذهب مع حمدى إلى أوروبا، ولكنه قدَّم لها عرضًا مغريًا سيحقق رغبتها وهو أن ترد إليه بيته الذى كتبه لها من قبل، وبالفعل يبدو أن شغفها -بحمدى- دفعها إلى الموافقة ووقَّعت على عقد بيعها البيت له، وقبل أن تطلب التخلص من -نبيل- ليتم مرادها أبلغلها أنه سيأخذ- نبيل - فرِحت أيما فرحة وكأنه كان حِملُ جاثم على قلبها وهو خارج ب-نبيل- استوقفت نبيل وقبَّلته قبله وداع على سبيل العادة خالية من حميميه الأم

قال لها -جلال-:(حالما تسافرى اتركى المفتاح مع عم -غانم-)

أطرقت برأسها لأسفل وهزت رأسها بالموافقة

تركها وغادر ونبيل- لا يحمل داخله أى أسف على فُراقها! بل تأبط ذراع والده ونظر إليه ماسحًا رأسه بصدر والده الذى بدوره احتضنه وكأنه يقول لا تخف مادُمت بجوارك قامت نوال- ببيع»الشقه» التى تركها والدها وكان موقع المميز سبب فى بيعها بثمن خُرافى لم تبقى على شىء إلا وتخلصت منه حتى ابنها كان أول من فكرت فى التخلص منه

سافرت مع -حمدى -بعد انتهاء عِدتها وعاد -جلال- مع ابنه نبيل للبيت.

لم يفكر -جلال- فى بيع» الشقة» التى لم يسكنها بعد إنما فكر فى التمهل حتى يرتفع سعرها كان قد جهزها وأصبحت جاهزة للسكن، ووصل تفكير وبُعد نظر- جلال- أن -فيما بعد -حمدى -سيسلبها المال وسيتخلص منها، كما تمتص النحلة الرحيق من الزهرة، سيترك «الشقة»معلقة، لتجد مآوى يأويها إكرامًا لابنه -نبيل - ومعنوياته التى ستُرتفع عندما يعلم أن أمه ليست فى خطر أو ملقاة فى الشارع فقد فعلت ما فعلت ولم تعود بالرأى على باقى أفراد عائلة والدها، لذلك لن تستنجد بهم ولن تشكوا لهم بل ستهرب من مواجهة أى منهم فهم جميعًا يعلمون أن -حمدى- إنسان فاشل لم يستطيع إثبات ذاته فى الغُربة ولم يحرص إلا على الحصول على الإقامة وحق الدخول والخروج من أوروبا ليس له رصيد بنكى أو وظيفه مرموقه، ولكنه متسكع يعيش على اللهو والعمل من أجل الحياه اليوميه وحسب.

لم يُرسل لذويه أى مبالغ ماليه لا قليل أو كثير استطاع أن يمتلك قلب وعقل -نوال- بتزيين حياة أوروبا فى عين -نوال- وبريق الكلام المعسول الذى تهيم معه الروح المحرومة والمتعطشة إلى السعادة واستطاع أن يلعب على العاطفة شبه المُعطَّلة لديها

ولعِب على الوتر الحساس لم ينعم النظر إلى ابنها -نبيل -المريض الذى هو أحوج الناس إلى حنوها وجوارها لم يتورع من تفكك آسره عمرها سبعة عشر عامًا ويكن هو السبب كان- جلال- يستشعر الخطر -لنوال- (.قال من يسمح لنفسه بهدم بيت مستقر لن يتوانى فى فعل أى شىء آخر) ومع ذلك قال لها -جلال- البيت سيفُتح لك فى أى وقت ترغبين فيه لزيارة ورؤية -نبيل -وإذا احتجتى لأى شىء فيما بعد لا تترددى فما بيننا عِشرة سنين

ولن أنسى الفضل بيننا كما ذكّرنا الله فى القُرءان الكريم ولكن احذرى على مالِك من.!

كان كلامه له وقع السياط عليها فما اظهره من كرم ولين جانب، ليعكس حُسن طويته وكرم أخلاقه!

أظهر لها من رباطة جأش واستهوان بخروجها من حياته ما أغور صدرها وصدّع جدار كبريائها وإن كان من داخله يعتصر لتفضيلها متشرد ليس له مستقبل على استقرارها وأسرتها وابنها وبيتها الذى قوضته برعونه يثق-جلال- أنها ستعود سواء فارة بأموالها بعد أن تكتشف حقيقة حمدى أو عائدة مكسورة مسلوبة مالها وكرامتها لتلجأ إليه أو لغيره ممن يهمهم أمرها دائسة على

كبريائهـا وضاربـة بكرامتهـا عـرض الحائـط لم يبـالِ -جـلال- عـلى -نبيـل- فقـد أن علـم أن -نبيـل - قـد اشـمئز منهـا وفى طـور أن يتناسـى وجودهـا فى حياتـه بعـد أن اختـارت -حمـدى -ونسـت كل مـا حولهـا !

-٢٩-

سـمِع جلال -طرق-الباب نظر لسـاعة الجدار كانـت ١١:٣٨ قارب الليـل عـلى الانتصـاف حتـى -برهـام- العجوز خلـد إلى النـوم نظر من ثقـب العـين السـحرية كان الطـارق- سـيد- خالطـه شـعور مركب بين الريبـة والاهتـمام وفتـح له البـاب ورحّب بـه كان جلال قلقـاً يترقب أن يتكلـم سـيد فيما جـاء عرض عليـه جلب العشـاء له

طلـب سـيد أن يعـد هـو الشـاى فقـد تنـاول العشـاء فى الطريـق كان سـيد بـه كارزمـا خاصـة تجذبـه لعمـه بالرغـم مـن كميـة الـشر التـى قـام بهـا ولا يعلمهـا إلا عمـه ولكـن جـلال كان يثـق أن مقابـل هـذا الـشر يوجـد خـير بنفـس القـدر، ولكـن لم يجـد مـن يثـيره فيـه ليخـرج

كان -سـيد- يشـعر أن عمـه يـراه عاريًـا، فالوحيـد الـذى يعلـم كل مصائبـه سـأله -جـلال- عـن سـبب مجيئـه فى وقـت متأخـر ولم يـأتِ بالنهـار أطـرق -سـيد- فنهـض جـلال- قائـلاً بصـوتٍ عـالٍ يشـوبه التأنيـب والوعيـد (إيـاك تكـن قـد فعلـت أى شـىء آخـر؟)

شىء قديم أخبرتك به! كان لا بد أن تعلمه فضميرى يؤنبنى

خير! قل؟ أستمع لك!

كنت قلت لك كلام عن زوجتك -أحلام- أن لها علاقات مع أكثر من واحد فى الجامعة .

وبعد ذلك ياسيد خلاص وطلقت أحلام!

كل الكلام الذى أخبرتك به عنها كان كذب! وافتراء منى على زوجتك! كنت لا أرغب أن تناسب - فتحى- وعائلة الحاج مدبولى

كنت أكرههم!

والآن يا- سيد-!

ضميرى! علاوة على أن زوجتك طيبة وبشهادة الجميع

ابتسم -جلال - بامتعاض، وقال: كانت زوجتى! واستطرد -جلال- قائلاً كل كلامك لم أستسيغه وربطت بين كلامك وبين كُرهك لهم بسبب أخوالك وقد كان بينهم ما يصنع الحداد

حضرتك أخبرتها أنى قُلت عنها شيىء

ضحك -جلال- وقام للنوم وقال له: اذهب ونام مع -نبيل- يوجد كنبة وغِطاء وتسلى مع -نبيل - وليتك تبقى هنا عدة أيام أحتاج أن يألفك نبيل ويعتاد وجودك وصُحبتك! لأنى أريده أن يذهب لزيارة القرية وتغيير جو سأعتمد عليك أن تُلازمه بالبلد

سأل -سيد- عمه -جلال- عن عوده أرتباطه ب-أحلام- فبين له جلال أن محاولاته كلها استحالت للفشل وأنه أخطأ فى حقها ويمنحها عُذر الرفض فهو يرى أنه غدر بها يرى أنه لم يكن لها الأمان بقدر ما كان لها الخِواء والجرف الذى سقطت فى غور غدره، ألتمس لها عُذر أن تبقى فى القاهرة وحيدة مع طفلتها الصغيرة

آنـذاك وقـد كانـت أغلب أيامهـا وحيدة إلا سـويعات يقضيهـا ويذهب اعتـادت الحيـاة وحيـدة فـما صـار يفـرق معهـا أن عاشـت فى بيتهـا أو عـادت إلى القريـة فى كل حـال سـتكن وحيـدة ولـو عاشـت هى وسـط ألـف ستعيشـها هـى فقـط مـع أحزانهـا وأشـجانها وآلامها

استشـاط غضبًـا عندما علم أنها سـتلتحق بوظيفة ذهـب وترجاها أن تظـل فى بيتهـا ترعى ابنتهـا، أراد أن يسـتبقيها نقيه أملاً أن تعـود له يومًا، أرادهـا بسـذاجة الريـف وغبـاره وعفويتهـا التى يعشـقها قبـل أن تلوج العمـل وازديـاد احتكاكهـا بالآخريـن سـتتشرب طبـع المؤامـرة واللئُـم حتـى تسـلك الطريـق دون أن تصـاب بـأذى المحيطـين غـير السـويين

هـى تـرى أن مجـال العمـل سـينعش حياتهـا ويُشـعرها بذاتهـا التـى كانـت قـد سـخرتها لمـن لم يقـدر تلـك التضحيـة، أمَّـا ابنتهـا -حبيبـه- يتبقـى لهـا عامـان وأكثـر وسـتلتحق بالمدرسـة وسـيزداد وقـت فراغهـا

قطعًا ستشـعر بقسـوة الفـراغ والملل! أين سـتصرف هـذا الوقت ولما لا تصرفـه فيـما يفيدها ويفيد غيرهـا ؟! ومعها ما يؤهلهـا للعمل فى مجال محـترم كمجال التعليم حتـى وإن كان مقابله المادى قليل إلا أنها ستشـعر بقيمتهـا وأثرهـا فى المجتمـع لقـد ظلـت طيلة حياتهـا تعانى مـن الترقب والانتظـار نشـأت يتيمـة فى بيـت يعـج بالأخـوة والآبـاء والأمهات من حولهـا أبنـاء وبنـات أخوانها فيهن مـن يماثلها فى العمـر! انتظرت تترقب أن تكـبر فيـزول يُتمهـا ويتلاشـى انكسـارها الداخـلى وقـد حُرمـت أن يجـرى عـلى لسـانها كلمـة «أبويـا»» وبالرغـم مـن تقبـل أم فتحـى لهـا وسـعادتها بهـا إلا أنهـا كانت تعلم أنها ليسـت أمها تعلـم أن -أم فتحى- ترعاهـا وترجـوا المقابـل من رضـا الله ! تعلم أن أم فتحـى ترعاها وتحنوا عليهـا خوفـاً مـن لوم قـد تراه فى عيـون المحيطـين إذا ما قـصّرت نحوها

تعلـم أن أم فتحـى ترعـاه وتهتـم بهـا لأنهـا لم تنجـب أنثـى كـما هـى لم تـرى أمهـا كانـت علاقـه منفعـه معنويـه متبادلـه وعـلى كل الأحـوال كانـت الراحلـه أم فتحـى صاحبـة فضـل عليها لن تنسـاه انتظـرت بعد انتهـاء دراسـتها ورجُلها المُبهم فى علـم الغيب طال انتظـاره ولكنه جاء! ولمـا تزوجته وشـعرت أنها أمسـكت بزمـام سـعادتها بأيديها أسـتحالت سـعادتها التـى ترقبتهـا إلى شـجن وترقب وأمـل بمجيئه

تترقـب سـاعات يأتيهـا زائـرًا ثـم يغيـب عنهـا كهـلال شـهر قمرى انسـل مـن حياتهـا كانسـلال المـاء مـن الأيدى.

اهتـدت -أحـلام- إلى أن تلتحـق بوظيفـه فى» ريـاض أطفـال» قريبة مـن بيتهـا وهى بذالـك سـتُرضى كل الأطراف وستشـغل وقـت فراغها وتشـعر بقيمـة مـا تؤديـه تُرضى به نفسـها وطموحهـا فى أنها عضـو نافع ومؤثـر وليسـت عضـو منتظـر ومترقتب بسـلبية أن تجعل سـعادتها تحت رحمـه الطـارق المرجو الـذى تنتظـره وتترقب وصولـه ! بيدهـا أن تجلب السـعادة لنفسـها، فالسـعادة يجـب ألا تكـن منحـصرة فى رجـل حبيـب ولكنـه متمنـع السـعادة لها مفردات شـتى نُكـران الذات سـعاده، جلب الـرزق سـعاده، نقـص المـال ليكمل نواقـص محتاج سـعاده، البسـمة فى وجـه مهمـوم للتهوين عليه سـعاده، عـدم الاحتياج للغير سـعادة فكلما تعمـق التآمـل وجـاب الخيال سـيجد رحابه فى كل شـىء ولو بسـيط قد يجلب السـعادة .

لم يغضـب جـلال عندمـا علم بنيتهـا العمـل فى رياض الأطفـال فقد هـدأ داخلـه جانـب الغـيره والحميـه لعِلمُـه أن كل تعاملاتهـا سـتكن فى حـدود ضيقـة مـع الآخريـن وجُـل وقتهـا وعملهـا سـيمتصه الأطفال التـى ستنشـئهم وتعدهـم للسُـلَّم التعليمى .

-٣٠-

عـاد -جـلال- إلى القريـة واصطحـب لأول مـرة معـه -نبيـل- بعد أن أخـذ قسـطاً مـن الراحـة وتناول الغـداء مع -فخـرى -والأبنـاء قال لــ -فخـرى - : أنـه سـيذهب إلى -فتحـى -ليتحـدث معـه فى عودتـه ل-أحلام-

امتلأت قسـمات -فخـرى- فرحة ظاهرة اسـتقبلها -جـلال- بقلب راضٍ وتمنـى -فخـرى-أن يسـير الحال كما يريـد -جلال- ودعـا الله أن يوفقـه فى مسـعاه نـادى -جـلال- سـيد - ليذهـب معـه لم يكـن فتحـى بالبيـت ولكـن- يونـس - ابـن -فتحـى- اسـتقبلهم وأصرّ أن يدخلـوا «المنـدرة» دخـل عليهـم وبيـده صنيـة الشـاى ورحّـب بهم أيـما ترحاب بوجـه بشـوش واسـتقبال حـار وأثنـاء ارتشـافهم الشـاى دخـل عليهم -فتحـى - تحـدث -جـلال- عـن سـبب قدومه -فتحـى-لم يكـن لديه مانـع لأن الأمـر عائد لهـا فقط فلـم يُقنعها فتحـى بزواجهـا من -جلال - بـل هـى مـن اختارتـه مـن بعد رفـض العديـد قبله

والآن لـن يجبرهـا أيضًـا عـلى العـوده إلا بقناعتهـا ورضاهـا قـال لــه فتحـى :أمهلنـى بعـض الوقـت وسـأرد عليـك حالمـا اجلـس معهـا كان فتحـى مرتبـط بموعـد مـع تُجـار مواشـى سـيآتون إليـه،

ولكنهم سيأتوا من مكان بعيد من قريه مجاوره وبعد يومين أو ثلاثة سيسافر ل-أحلام- ويتحدث معها استشعر -جلال- رغبة فتحى وميوله إلى عودة -أحلام-له كان من الواضح ترقُب -فتحى-لمجيىء -جلال -فكان مرتب كلماته التى قالها ل-جلال-.أستأذن جلال- فتحى -وعاد إلى بيت أخيه زوجة -فخرى- كانت سعيدة بالرغم من عداء اهلها لعائلة الحاج مدبولى ولكنها كانت تحمل هم -جلال- بعدما تركته زوجته -نوال - والجميع علم بأصل الحكايه ولاكوا سيرتها وسيرة- جلال-، وكلاً منهم كان له استنتاج على حسب هواه، منهم من لام -جلال- متهمينه أنه لم يملأ عينها وفراغها! فبحثت عن آخر ولَّما وجدته تركت جلال وذهبت، ومنهم من وضع اللوم على -نوال- واتهموها أنها لم ترضَ بنصيبها، ولم ترعَ حق ابنها وزوجها الكل يعيد صياغه الحكايه بأسلوبه وما يرتأي هو! الجميع قُضاه! الجميع لا يرحمون ولا يغفرون، وهم فى الواقع لا يفهمون! لأنهم لم يتفقهوا ويستقوا أخبارهم من منابت الحقيقة ومن مصادرها بل راحوا يخمنون ويستخدمون حدسهم.

مكث سيد مع عمه وقد دبت بينهم شبه صداقة غير متوقعة تسامروا فى كل شىء، وكان -نبيل منتشى ويشعر بدفء أُسرى لم يعهده من قبل، كان ينقص نبيل الاحتكاك والاختلاط وقد حبسته -نوال- فى وهم المرض وأغلاله ودوام الخوف المرتقب

انتصف الليل وكان -نبيل - سعيد بقدومه مع والده حفل به الجميع رأى عمه وزوجه عمه وأبناء عمه كان يعرف أسماءهم، ولكنه لم يرَ منهم إلا -يونس و-سيد- وعمه- فهم من كان يجيئون إليهم

البيت طلب -جلال- من نبيل أن ينام فى غرفة أبناء عمه ضحك -جلال- وقال: أريد سيد من ينام على الأرض!

ثم غاب -سيد- عند عمه فترة وخرج! ثمه شىء يدور بينهم، قابله -يونس- بعد أن أغلق الباب خلفه على عمه قاله له يونس مكثت كثيرًا مع عمك

لم يحر -سيد -جوابًا وقال كنت أسليه بدل من جلسته وحيداَ

وبعد الواحده بعد أنتصاف الليل نادى -جلال- بصوتٍ عالٍ وقال: فخرى سيد يونس هرعوا جميعًا إليه قال إنه يشعر بألم فى صدره وحرقان طال عدة دقائق غالب الآلم ولكن الآلم انتقل إلى زراعه وكتفه وفكه. جاءه غثيان وقيىء أستنجد بصوت مرتفع وقال يا « سيد» دكتور !! كان بينهم -نبيل- مشدوه باكى لكن لم يناوبه الصرع حملوه إلى سيارته واحتاروا يبحثوا من يقود السيارة أجلسوه فى الكرسى الخلفى بالسيارة بجواره أخيه -فخرى- يجلس مهروع وجيب القلب جلس سيد على عجلة القيادة حذره يونس أن خوفا من أن يتسبب فى حادث فهول لا يقود إلا الجرار الزراعى !ولكن سيد جرى ولم يعبأ بكلام يونس الذى جلس لم يحمل ألم عمه ومرضه بقدر ما يحمل الخوف من قيادة سيد أن يحيد يمينا فينزل منخفض الأرض الزراعية،أو يسارًا فينزل بهم الترعه الممتلئه بالماء، ولكنه وصل بهم إلى المستشفى الحكومى هى ما عرفوا الوصول إليه ليسعفوه أولاً استقبلته الطوارىء، حكى لهم- سيد- ما شكى منه عمه -جلال- قال الطبيب أعراض أزمة قلبية أعطاه بضع حبوب من الأسبرين تجرعهم بالماء. هب سيد قائلاً اسبرين !»هذا هو دواكم»انفعل عليه الطبيب وقال

لا تتدخل فيما لا يعنيك! خذه سريعًا وأجرى له أشعة أكس بينت الأشعة ضيق فى الشرايين ولكن لم يسد أى شريان، مما استدعى تعجب الطبيب لتلك الأعراض التى شكى منها !فى الصباح ،هرع الأقارب والجيران والمعارف لزيارته فى المستشفى

كان مازال فى قسم العناية المركزة المميزة وجاء- فتحى - له زائرًا، منع الطبيب الزياره، نسى -فتحى- موعد التُجار الذى كان سيلتقى بهم لشراء مواشى لديه، اتجه إلى -أحلام- مباشرة قص عليها ما حدث امتلأت مقانيها بالدموع مدرارًا قال لها فتحى :ما دُمت هكذا تهرعين وترتجفين حُزناً عليه كان من باب أولى أن تعودى إليه منذ أن عاود طلبك، لم تجادله وتركته يقول ما يحلوا له

هى ليست الآن فى مجال جدال وإقناع وحديث عن كرامة وعزة وكبرياء قد جُرح هى فى حيرة تتمنى أن تذهب وتجلس تحت قدميه حتى ينجوا ويتماثل للشفاء، ولكنها جال فى خاطرها أن الجميع سيقول أنها عادت لأنها علمت أنه سيموت عادت لتنال نصيبًا من الميراث وكان فتحى قبل أن يغادر المستشفى قد انتحى به-فخرى-جانبًا وقال:(-جلال- يريد أن يكتب كتابه على أحلام وهو فى حالته تلك.يتمنى أن يموت وهى على ذمته أبلغها هذا الكلام! أبلغها أن تأتى معك) عادت -أحلام- فى جُنح الليل عادت تعس فى الليل تتمنى لو ينكشح الظلام ويلوح ذلك الصباح الذى ستشبع فيه ناظريها من -جلال- فبقدر ما حملت فى قلبها من حُزن وعتاب بقدر ما تحمل له بنفس القدر حُب ووفاءً عند وصولها البيت رأت -نبيل لأول مرة فى يديها يد -حبيبة- ساقتها إلى -نبيل - حيث يجلس منفرد حزين كان

قد أحضره يونس -وهو مع -سيد- بالشارع ليتعرف على أخته -حبيبه- التى لم يراها قط وكان سيد من أوصى يونس بذلك قالت-لحبيبه وقد أشارت لها إلى نبيل ! - نبيل - أخوكى ! مسحت على رأس نبيل وطمأنته على والده.قال (أريد أن أذهب لبابا) قالت له: فى الصباح ستذهب معى وستراه انفتح قلبه لها وطفق يداعب -حبيبه-.ويقول لها أنا(أخوكى) و-حبيبه- تنظر إليه فى وجل وتتمسح بظهرها بساق أمها

فى الصباح ينتظرها فتحى ليذهبا سويًّا أستأذنت -فتحى- أن يسبقها وهى ستصحب معها نبيل وستأتى خلفه ذهب فتحى وذهب معه -فهمى -وفريد- ليعودوا -جلال٠ قبل أن تذهب إلى المستشفى جابت الشوارع تتفحص اللافتات تبحث عن شيئًا دخلت بناية مكوّنة من أربعة طوابق دخلت شقه فى الدور الثانى تستخدمها محامية كمكتب للمحاماة غابت ما يقرب من ساعة، ثم نزلت وبجوارها يسير -نبيل - وصلت للمستشفى مازال الطبيب يمنع الزيارة تضرج وجه -فخرى- فرحًا برؤتها وهى ممسكة بيد -نبيل- مهرولة تشق الأرض وتطويها فى عجل شفع لها -فخرى-عند الطبيب أن يسمح لها وابنه بالدخول لرؤية -جلال- بعد الحاح من -فخرى سمح لها الطبيب كانت حالته مستقرة وزال الخطر، ولكن الطبيب منع الزيارة عندما رأى جيش جرار ينوى جميعًا الدخول لرؤية -جلال- ! وهذا ليس من صالح شفاءه من شيىء جرى -نبيل - يُمسك بذراع والده، ويفرك وجهه به حبًا واشتياقا قالت له: ألف سلامة عليك يا -أبونبيل-

قال لها : الحمد لله يا أم حبيبة

قال لها : قلبك سامح يا-أحلام-

قالت له «قلبى لم ينساك لحظة حتى تتهمه أنه كان غاضبًا»

قال طلبتك مرات لنعود حَفيت قدماى وأنا أتسول وأرسل لك وسائط

قالت ما بالقلب كان بالقلب ! ويعلمه الله، ولكن كانت كرامتى المجروحة! والخوف الذى اعترانى بسبب تلاشى الأمان نحوك بسبب هجرك وطلاقك لى من أول خلاف كانوا جدار منعنى من أن أعود فأجرهم من جديد! ثقتى فى الجميع انعدمت بسببك! لانى كنت أرى فيك كل شىء لى وعندما يضيع منك ما تحسبه كل شىء فلن تأمن لاى أحد بعد!

طلب منها أن يدعوا -فخرى - ليأتى بالمأذون ولكنها قالت بتعقل لا داعى للتعجل فحالتك الحمد لله لا قلق منها بعد أن تتماثل للشفاء بشهر أو شهرين سنكتب الكتاب ولكن بمهر جديد وشبكه جديد بانت نواجزها وتبسَّمت وملامح وجهها توشى بالهزر وتلطيف الجو نسى أن يرحب -بحبيبه- وبجواره على حافة السرير كان يجلس نبيل ممسكاً بذراع والده نادى عليها فتشبثت بأمها دخل -سيد - فى غفلة من الطبيب وكان قد كرمش بعض الجنيهات فى يد الممرض فسمح له بالدخول قبَّل رأس عمه وصافح -أحلام- وأومأ لعمه إيماءة حسد لقُرب نيله مراده ثم خرج عادت أحلام وقد خلا قلبها من القلق على -جلال- ولكن امتلأ قلبها به انشغالا فصارت الآن تترقب من جديد تمائله التام للشفاء لإتمام الزواج بعد أن ذاب الجليد وتلاشت الجروح والأتراح وبدأت تفتح صفحة جديدة ناصعة لولوج مملكتها التى فقدتها من جديد هى مليكتها.

***

-٣١-

بعد أن خرج -جلال- من الإنعاش وعاد إلى القاهرة ذهب إلى العمل لم يقضى فترة نقاهة بالرغم من طلب شريكيه أن لا يحمل هم العمل الذى يُدار على قدم وساق قبل عودته كان قد جلس مع- فتحى -واتفقا على كل شىء وموعد كتب الكتاب واتفقوا أن يحدث الزفاف على نطاق ضيق دون معازيم خارج العائلتين وكان -فتحى -قد استبقى أحلام ومنعها من العوده للقاهره حيث بيتها وفضل أن تخرج من القريه وتعود مع جلال إلى حيث سيستقرون حيث تسكُن-أحلام- رفضت أن تسكن مكان -نوال- فقد خامرها إحساس أنها أحد أسباب تقويض بيتها وتزلزل جداره، هكذا كانت تشعُر ويلامس قلبها جانب من التأنيب والتقريع مر عشرة أيام على رحيل -نوال- وعادت تدق باب -جلال-فزع- جلال-! وأصابه الفجأ فقال لها : فيما سافرتِ !وفيما عُدتِ! سمح لها بالدخول وضعت حقيبتها ودخلت واقتعدت أحد مقاعد الصالون جلس قبالتها وداخله المنتصر عادت الذليله التى أدبتها التجربة سألها عن حمدى وعما جرى لها

أطرقت لأسفل وقالت عند وصولى مطار القاهرة انتابتنى رعشة وخوف من المجهول! وجدتنى أتذكر ابنى -نبيل وانهمرت

دموعى، وفى نفس الوقت تذكرتك وتذكرت فعلك الكريم معى وطمأنتنى انك سترحب بى فى أى وقت، وتذكرت كل حياتى معك بحلوها ومُرها تذكرت وانت تقول كما قال الله تعالى «ولاتنسوا الفضل بينكم» وجدت نفسى جاحدة جُردت نفسى من الأنسانية وتخليت عن عن كل شىء مقابل لاشىء نظرت إلى أفعال حمدى وجدته مجرد طامع طائش لاهدف له قد سلب منى فى أيام عشرة الآف جنيه كِرهته واستحقرته تمنيت أن أعود ولو أُصبح لك خادمة ولنبيل خادمة ولست أُمًّا وزوجة الآن همى ليس ما كنت أعتقده فُسح وسهر وخروج بلا حساب همى الآن أن أعود لحياتى النظيفة التى كنت أحياها معك وكل مالى لا وزن له مقابل حرمانى من ابنى ومنك! وبُعدى عنه.

قال لها -جلال-: والعشرة أيام ! أين كنت ؟

قالت :إنها كانت عند خالتها بالإسكندرية و .

قصَّ عليها- جلال- ماحدث معه وأعلمها أنه سيعود لأحلام »وقد علمت -أحلام- بخبر انفصالنا» عرض عليها أن تذهب لشقته التى اشتراها تستطيع أن تقطن بها حتى يفرغ من زواجه بأحلام- ثم يعيدها إلى عصمته

قالت ستأخذ رأى أحلام؟ قال لها: أنت زوجتى قبل -أحلام -! وكانت هى تعلم ذلك وعندما أُعيدك ستكن أحلام زوجتى قبل أن تكونى أنت زوجتى دائرة ودارت! قالها ذلك وضحك باستخفاف يشوبه التأمل والتعجب .

قالت أخاف أن أعيش بمفردى

قـال: لها كنـت تضغطين عـلىَّ وقت زواجـى بأحلام ألا أذهـب إليها وقضـت أغلب أيامهـا وحيدة.

أطرقت لأسفل ولم تنبس ببنت شفة

قال : أنت قضيت فتره العِده وحدك هنا

قالت: هذا مكانى وحياتى ! لم أشعر فيه بالخوف أبداً

قـال لهـا: لطْفى أجواءك مـع -ابنك -الـذى جرحتِه- وسـأترك لكما البيـت تعيشـا فيه حتـى يأتى يـوم ارتباطنا مـن جديد.

عـاد -جلال- إلى القرية وتركها مع -نبيـل - تغالبه بحجتها ويغالبها بفلعهـا انفـرد -جـلال- بأحـلام- وقـصَّ لهـا ما حـدث وأبلغهـا بقرار عـودة ارتباطه ب-نـوال- وأنه قبل عُذرها وندمهـا أكرامًا ل-نبيل -ابنه

كان رد أحـلام مفاجـىء ل-جـلال- التـى ترجتـه أن يكتـب كتابـه عـلى -نـوال- حـال عودتـه لهـا ولا يتركهـا وحيـدة! أظهـرت لـه لـين جانـب فى هـذا النحـو حفاظـاً عـلى حيـاة -نبيـل -تظـل مسـتقره لقـد كـبُرت -أحـلام- فى عـين -جـلال- وتجلّـت لـه قذامتـه هـو و-نـوال- بجانـب عملقـة روحهـا ونُبلهـا وأخلاقهـا

عـاد -جـلال- وتـزوج ب-نـوال- وعكفـوا أيـام حتـى عـاد نبيـل يقنـع بوجـود أمـه فى حياتـه مـرة أخـرى

وفـرغ -جـلال- مـن إعـدادات جـوازه -ب-أحـلام- وجـاءت معـه للقريـة -نـوال -بهيجـة قانعـة بالوضع الجديـد لا تلوى عـلى حُزن أو حنـق أو بُغـض ل-أحـلام- وقـد علمـت أنهـا مـن أقنعـت نبيـل أن يعيدهـا إليـه حالمًـا يعود!

انتهى كتب كتاب -أحلام -وجلال- وكما اتفقوا سيجلسوا جميعًا مقدار ساعة بين العائليتن المجتمعين فى بيت -فتحى- ثم يأخذها وابنته - حبيبه- ويعودوا للقاهرة أخرج من جيبه عُلبة قطيفة صغيرة أخرج منها خاتم ثمين ألبسه لها وأخرجت من صدرها مظروفاً ودسّته فى جيبه

وهمست فى أذنه قائلة: لا أرغب أن أعيش فى بيتى نقلت لك ملكية البيت لأنى أحب أن أعيش فى بيت صاحبة زوجى ! أثناء ذلك نظرت إلى -نوال وكأنها تستبيحها عذرًا فقامت -نوال -وقبّلتها على وجنتيها وخلعت سلسلتها الذهبيه من جيدها وألبستها ل-أحلام- التى بدورها عانقتها بصفاء وخفق قلب -أحلام- لها أمتنانَاً.

نهض جلال وفى يده أحلام التى ودَّعت كل من فى البيت بالمصافحة وبالعناق ولجت -أحلام- فى السيارة واقتعدت الكرسى الأمامى بجوار -جلال- واحتلت زوجته الأخرى -نوال- وابنه نبيل المقعدان الخلفيان حيث جلست بينهما حبيبه سعيدة بأسرتها التى كبرت وقف الجميع فى وداعهما وانطلقت السيارة حتى ابتلعها الأفق البعيد والظلام .

***